٥٥

مجلة
روايات أحلام

فراشة المحبة

كل الرقصات لك

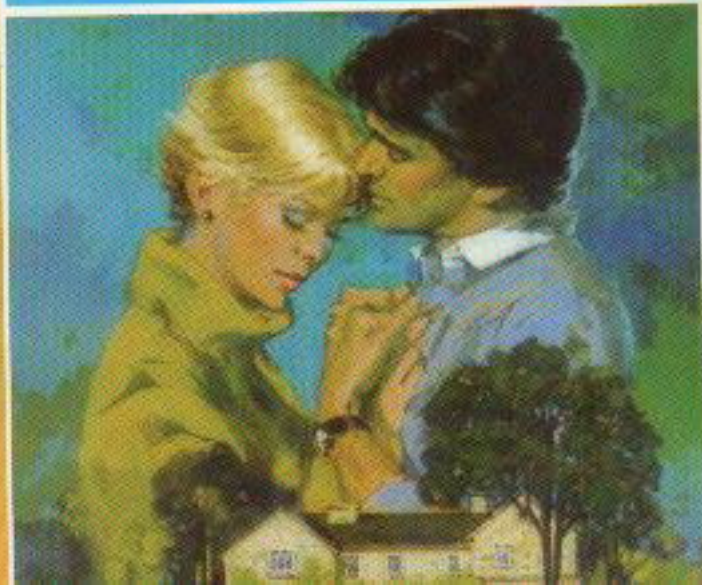

مجلة روايات أحلام

فراشة المحبة

كل الرقصات لك

وعادت سندريلا:

«من يجد لي فردة حذائي يكُن أميري هذه الليلة!».

وأتى الأمير حاملاً حذاءها: رجل أسود الشعر، على وجهه ابتسامة ساحرة، ونظرة صقر يريد الانقضاض على فريسته.

لم تعد هايزل منذ النظرة الأولى كما كانت، فقد خطف غاريت قلبها، وسرق الضحكة من عينيها، ثم رحل...

وبقيت هايزل وحيدة، تؤنس وحدتها ذكرى أمسية يتيمة ضمّتها مع رجل عنده كل صفات أمير الحكاية إلا أن قلبه من حديد.

فهل من يعيد لسندريلا الحزينة ابتسامتها الضائعة؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١,٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

فراشة المحبة

١ ـ في بحار الأحلام

انحنى الشاب ليضع كأسه على الطاولة.. وقال متشدقاً:

ـ أخبرينا هايزل، ماذا سيحدث برأيك؟.

كان أصدقاء الشّاب ورفاقه الجالسون حول الطاولة يرتدون أفضل ملابسهم، بعضهم يرتدي الأبيض القرنفلي. وهم أشدّ رزانة مما يكون عليه الضيوف عادة في حفلة زواج.

قُطّع قالب الحلوى ووُزّع، وشُربت الأنخاب واختلط العروسان بالمدعوين. كانت مجموعة صغيرة ترتدي ثياباً ملونة تقدم الموسيقى والطاولات أخليت لتأمين مكان للرقص.

هزت هايزل رأسها للسؤال، ثم دفعت شعرها البني القاتم إلى الوراء.

ـ لا أدري جيس كما وأشك في أن تكون الإدارة على معرفة...

رد أحدهم:

ـ وإن يكن.. فلا أظن أن هناك شك بشأن الموضوع... سيتغير النظام القديم بحيث لن يستطيع أحدنا التكهن بما هو آت.

قال روبن:

www.liilas.com

ـ لا أحد يعرف.. من سيبقى ومن سيذهب.

وافقت هايزل مع شقيقها:

ـ سمعت إشاعة تفيد أن رئيس مجلس الإدارة لا يعرف الرحمة في تعامله.

رد جيس:

ـ ولهذا كان لشركته قيمة عالمية كمؤسسة من المؤسسات العملاقة..

هزت هايزل رأسها:

ـ يقال إنه من جعل الشركة في هذا المقام كما تقول الشائعات إن لا قلب له حين يتعلق الأمر بتطهير الإهمال.

قال جيس:

ـ سمعت أن سكرتيرة كانت تعمل في الشركة قد طُردت بعدما ترك رئيسها منصبه إلى شركة أخرى. وذلك دون أن يعرضوا عليها وظيفة بديلة في الشركة وأسوأ ما في القصة أن لها زوجاً مقعداً.

قطبت هايزل جبينها شفقة على المرأة المجهولة.

ـ كان صديق روبن يعمل في شركة «انترايكترو» أليس كذلك روبن؟ وهو صاحب عائلة مؤلفة من زوجة وثلاثة أطفال.

سألت كاترين وهي امرأة نحيلة ذات شعر أشقر:

ـ وهل طُرد؟.

قالت هايزل:

ـ هذا ما حصل.. اسألي روبن.. لقد قرّر الرأس الكبير تخفيض عدد العاملين.. إضافة إلى تقييم عام للعمل.

هز أخوها رأسه:

ـ لقد فقدت الاتصال معه، لقد انتقل إلى كرونويل ومنذ ذاك الحين انقطع عن الاتّصال بي.

قالت كاترين:

ـ عليك أن تحذري يا هايزل لئلا تكنس المكنسة الجديدة وظيفتك مع الآخرين.

ـ لن تتأثر وظيفتي فحسب بل سيتأثر قسم الأبحاث كله أي ستقع الواقعة على رؤوسنا نحن الملتفين حول هذه الطاولة.

جعلتهم هذه النبوءة يتأوهون.. فتابعت:

ـ إذا كان ما سمعناه عن ذلك «الروبوت» الخالي من الإنسانية، صحيحاً فتوقعوا أيها السادة أن يخلي شركة ساينتفك يرودكتس من موظفيها القدماء.. والآن.

حدقت إلى الوجوه المتجهمة حولها:

ـ من المفروض أن يكون حفل الزفاف مناسبة سعيدة.. لذلك دعونا نتخلص من التجهم.. جيس، أتريد مراقصتي؟.

ـ لِمَ لا؟.

ـ إذن...

نَظرت إلى ما حولها وقالت: «الحق بي».

ثم ركضت إلى قاعة الرقص المزدحمة تبحث عن مكان تهرب إليه، فرأت الدرج المؤدي إلى بهو الفندق.

ارتقت أربع درجات لاهثة ثم استندت إلى مرفقيها تضحك على الشاب الجاري خلفها، وبعد ذلك رفعت قدمها لتديرها.

ـ فردة حذائي.. لقد أضعتها.. إنها دون شك في مكان ما

www.liilas.com

في الأسفل، من سيكون أمير ساندريلا؟

توقف ضيوف الفندق المارين مبتسمين. الرجال يتظاهرون بالنظر حولهم وكأنهم غير راغبين في تفويت فرصة الإسراع لمساعدة هايزل.

راحت تنظر إلى رفاقها وهي تقف على قدم واحدة.

ـ فليبحث أحدكم عنها. لا يمكنني العودة إلى منزلي حافية.. من يجد حذائي، يوصلني إلى بيتي أليس بينكم أمير وسيم... أليس هناك أحد..؟

تلاشى تحديها ببطء حيث أصبح أنفاساً متسارعة وذلك حين التقت عيناها بنظرة ألقاها عليها رجل أسود الشعر ظل واقفاً بعدما غادر بقية الضيوف. ثم لم يلبث أن بدأ يقترب من الدرج بتمهل، فسألته هايزل مترددة.

ـ نـ.. نعم؟ هـ.. هل تريد... شيئاً؟.

كان في عينيها ذعر ولكن جسدها بقي صامداً حيث هو فوق الدرجة الرابعة.

دنا منها.. كان جيب سترته منتفخاً ولكن سرعان ما اختفى الانتفاخ وظهرت فردة الحذاء.

ـ لك؟

هزت رأسها، وهي تنزل الدرج بعرج. كان في ابتسامته لمسة سخرية وانحنى على إحدى الدرجات ثم أمسك قدمها بيده.. فراح يتفرس في شكلها، قبل أن يحوّل قبضته إلى شبه مداعبة.

رفع رأسه إليها، وعيناه تلاحقان بشرة كتفيها الناعمة فعنقها

فذراعيها. وضع الحذاء الأبيض في قدمها ثم عادت عيناه تجولان على جسدها ثانية.

فكرت هايزل: إنه يحرقني بنظراته، يتأملني بشغف، مع أنني لم أره من قبل.. وليتني قابلته من قبل.. قبل أية امرأة كانت له فلا بدَّ أن يكون لرجل كهذا امرأة من نوع ما وفي مكان ما. من هو؟.

ابتدأ بابتسامة بطيئة ساحرة جعلت قلبها يفر من مكانه. عيناه كسائل بني صاف وهما افتح لوناً من عينيها، حاجباه مرسومان بدقة، وأنفه مستدق وثغره قاسٍ، لكن له انحناءة مثيرة.

عيناه ما تزالان تحومان عليها كصقر يريد الانقضاض على ضحيته...

من هو؟.

بدأ رفاقها بالانسحاب فانتزعت نظرتها عن الرجل وادعت العفوية الطبيعية. رفعت قدمها من جديد:

ـ عاد الحذاء إلى صاحبته.

أدار جيس نظره إلى ما حوله.

ـ من منا هو أميرك الوسيم اذن؟.

وجدت بعض الصعوبة في مواجهة نظرة الغريب ولحقت عينيها أربعة أزواج من العيون. سارع جيس للاعتراض:

ـ هو؟ ولكنه ليس منا.

لم تسأل هايزل: من هو اذن؟ لأن شيئاً في داخلها لم يشأ المعرفة... على الأقل ليس بعد... هناك غموض ما بشأنه

www.liilas.com

ومعرفتها اسمه قد يفسد عليها هذا السحر... وهذه الاثارة... ولكن كونه ضيفاً في فندق فهذا يعني أنه سيمضي قريباً في حال سبيله.. وهذا أمر مؤسف جداً.. تنهدت بصمت.

تغيرت أسارير الرجل الواقف أمامها مراقباً وجهها فتضرجت خجلاً من خبث نظرته المحللة.. وأحست أنهما وحدهما في جزيرة نائية.. في جزيرة خاصة لم يكتشفها أحد سواهما... جزيرة كأنها الجنة بعينها.

ـ هل أنت مستعدة للذهاب.

كان صوته عميقاً رناناً، وكأنه جزء من الجنة المميزة التي كانت تتجول فيها... فردت بصوت ناعم خفيف:

ـ الذهاب؟ إلى أين يجب أن أذهب؟.

أضحكته حيرتها، فانقلب قلبها رأساً على عقب:

ـ وجدت حذاءك. ألم تقولي إن مكافأتي ستكون إيصالك إلى منزلك؟.

اربكها تأثير هذا الرجل فيها:

ـ لم أقصد ذلك.. لقد نسيت لحظة أن منزلي يبعد مئات الأميال عن هذا الفندق الذي حجزت فيه غرفة لقضاء الليل. لقد حجز العديد منا غرفاً من أجل المشاركة بحفل زفاف ساندرا. إنها صديقتي التي أعمل معها وقد دعت عدداً كبيراً من موظفي ساينتفيك برودكتس.

ـ إذن، سأوصلك إلى غرفتك.

اهتز رأسها بعنف.

ـ لا.

ولكنها كانت تتمنى لو تقول نعم! ماذا ستفعل بهذا الإحساس الذي يعتمل في نفسها؟ وذعرت.. لا أريد أن أتركه يبتعد عن ناظري.. ولا أريد لهذه الحفلة أن تنتهي لأن كل شخص ساعتئذٍ سيرحل. ولكن ماذا أفعل بهذا الإحساس السخيف الذي يدفعني إلى الرغبة في اللحاق بهذا الرجل إلى آخر العالم؟ أتمنى لو يوصلني إلى منزلي... وهذه المسافة كلها هذه الساعات معاً. لا تعرف حتى اسمه!.

ظهر جيس كايسي أمام مدخل قاعة الرقص المقوس وقطب جبينه محرّكاً رأسه:

ـ ماذا عن رقصتي؟.

ولكن هايزل نظرت إليه وكأنها لا تعرفه، وكأن شخصاً قد ألقى شبكة فوقها فسلبها إرادتها...

نظر جيس إلى رفيقها ثم استدار على عقبيه. كان الرجل يراقب صمتها باهتمام.

ـ أتخبريني ما اسمك؟.

ـ هايزل براون.

ـ هايزل.. أتودين مراقصتي؟.

نظرت إلى يده الممدودة.. وقد تحوّلت الموسيقى ناعمة عذبة.. فتحركت تنزل الدرج حتى وقفت إلى جانبه تضع يدها في يده.. في هذه اللحظة ظهرت العروس إلى جانب العريس في المدخل، فجالت بنظرها في الحضور حتى استقرت على هايزل، وعندها رفعت يدها ملوّحة:

ـ وداعاً.. سأتصل.

ثم لمحت الرجل الممسك بيد صديقتها، فقفزت رسالة ملحة إلى عينيها.. وهزت رأسها صائحة:

ـ لا.. هو لا.. ابتعدي عنه.

اتسعت عينا هايزل دهشة، ثم هزت رأسها لأنها لا تفهم سبب تحذير ساندرا من الرجل. إنها تعرفه دون شك. ولكن مهما كان سبب تحذيرها، فقد جاء متأخراً.. مع أن لساندرا سبباً وجيهاً دفعها إلى أن تنصحها بالابتعاد عن درب هذا الرجل وسمعت هايزل صديقتها تقول للرجل الذي حثتها على الابتعاد عنه:

ـ غاريت.. يسرني مجيئك.. لقد وضعت قطعة حلوى لك جانباً. ألن تقبّل العروس؟

ابتسمت ساندرا له، فترك الرجل المسمى غاريت يد هايزل واندفع إلى العروس. راقبته هايزل يبتعد، فحاولت جمع شتات عالمها الذي تركه، أهذه نهاية القصة التي لم يكن لها بداية؟

عاد صوت ساندرا:

ـ وداعاً هايزل. وداعاً غاريت.

انحنى الرجل متمتماً بشيء ما، فرفعت ساندرا نفسها على أطراف أصابعها ترد عليه همساً. ثم هزت رأسها وضربت الرجل ممازحة على كتفه.

اسمه غاريت إذن.. وساندرا تعرفه. ربما ابن عم أو قريب، أو صديق زوجها. تقدمت فتاة صغيرة من هايزل وهي إحدى وصيفات العروس، وقالت:

ـ غاريت خالي.. تقول أمي إنه التالي في لائحة الزواج.

ابتسمت هايزل:

ـ حقاً؟ ومن هي سعيدة الحظ؟.

ـ أوه.. لديه الكثيرات.. أمّا ساندرا فشقيقته وقد تزوجت الآن، لذا فهو التالي. أليس كذلك؟

وابتعدت الفتاة وهي ترقص.. فسمعت هايزل الصوت العميق يقول من خلفها:

ـ أصبحت تعرفين الآن لماذا حذرتك العروس بالابتعاد عني.

التفتت إليه وقلبها في صعود وهبوط فقد لاح لها ما قالته ساندرا عنه.. مجرد ملاحظة ممازحة. ما من جريمة.. ولا امرأة قانونية في حياته.. وقالت تضحك له:

ـ إنها دعابة فظة من شقيقتك.

إن اسم عائلته ماكيرتشي. غاريت ماكيرتشي.. للاسم رنين خاص.. رنين أجراس من داخل رأسها.. ولكن أي نوع من الأجراس؟ ابتعدي عنه.. هذا ما حثتها عليه ساندرا...

ولكنني سأتمكن من الابتعاد عنه كما تتمكن النحلة من الابتعاد عن الزهرة أو كما تتمكن الموجة من الابتعاد عن الشاطىء.. لقد أصبحنا مترابطين.. أشعر بهذا.. أيشعر به هو أيضاً؟.

ـ ما زلت أنتظر الرقصة.

حثتها ذراعه القابعة على كتفها على التوجه إلى الجمع الغفير. كان الرقص قد بدأ من جديد بعد انتهاء الضجة التي أثارها رحيل العروسين. أحست هايزل بأنها بين ذراعيه تتحرك

وتموج ببطء.

تسللت موسيقى الأغاني المثيرة، دون كلماتها، إلى أعمق أعماق هايزل.. خاصة بعدما عانقت يداه خصرها ولم تجد إلا ذراعيها تلتفان لا إرادياً لتتلقيا خلف عنقه.. ما الذي يحدث لها؟ لم تتصرف قط على هذا النحو.

تبادلا الابتسام وهما يتابعان الرقص.. فمر الوقت بهما حتى ظهرت العتمة وراء النوافذ واضيئت الأنوار في الخارج.

وسألها غاريت:

ـ تتمتعين بوقتك؟.

ـ بشكل رائع.

أشار إلى طاولة الطعام، فهزت رأسها وقالت:

ـ إنها أفضل حفلة زفاف حضرتها، بل هي أسخاها بكل تأكيد. لم تذكر ساندرا يوماً أن والديها من الأثرياء.

ـ إنها ابنة والديّ الوحيدة.

ابتسم لها وهو يتكلم، فوجدت صعوبة في عدم الرد عليه.

التفكير في خروج هذا الرجل من حياتها، وفي ذراعه زوجة جميلة أنيقة ثرية، كخروجها في عاصفة ثلجية دون ثياب. أحست برعدة تسري في جسدها، فأسرعت تفتح عينيها لتنظر إلى الدفء والألوان التي تحدق بها.

سألها غاريت مازحاً.

ـ تبدين صارمة. ما الذي يقلقك؟.

ـ لا شيء.. إلا أنني كنت أنظر إلى المستقبل.

ـ وهذا ما جعلك ترتجفين؟.

كانت كمن يطير فوق سحابة نحو الشمس. لو أنها ايكاروس، الذي اقترب من الشمس أثناء طيرانه بجناح من شمع، كما تقول الأسطورة اليونانية، لعرفت ما سيحدث.. وجدت بين ذراعي هذا الرجل سؤالاً سبق أن سمعته من قبل. في الماضي كان الرد دائماً «لا» ولكن كيف تردّ هذه المرة؟.. اشتدت ذراعاه حول خصرها فتركت جسدها يردّ.

ـ أتودين احتساء شيء ما؟.

فتحت هايزل عينيها، ثم هزت رأسها بقبول. ولكنه لم يصطحبها إلى طاولة الشراب التي في القاعة، بل جذبها إلى المخرج.. عندما مرّت بجيس أمسك ذراعها:

ـ ابقي هنا هايزل.

ولكنها نظرت إليه وكأنها فاقدة الذاكرة فلا مكان فوق السحابة التي تحلق فوقها إلا لشخصين اثنين. حررت ذراعها منه، لتتحرك كالحالمة في اعقاب الرجل الذي يسير أمامها.

سألها في المقهى عمّا تريد، فأخبرته وكان قبل ذلك قد قرّب الكرسيين المتباعدين حتى أصبحا متلاصقين. تطلعت هايزل إلى المنظر الرائع في الخارج، حيث الهدوء والسكينة اللتين فقدتهما مع هذا الرجل الذي أحدث في حياتها عاصفة. لو تركت عيناها تلتقيان بعينيه لثار إعصار سيدمّر عالمها.

ـ هايزل؟.

التفت رأسها بسرعة متسائلة. قد يكون شقيق صديقتها، ولكن غريزتها تنبئها أنه يعيش في محيط لا خبرة لها به أو معرفة. ولن تكون أبداً فيه. ولكن.. آه للسعادة التي ستعمّ

نفسها لو استطاعت! سمعته يتابع سؤاله:

ـ الشاب الذي تهربت منه.. أهو صديقك؟

ـ إذا كنت تعني جيس.. فهو زميل.

وضع كأسه من يده:

ـ اذن، الساحة خالية؟

ـ لمن؟

ارتفعت يده إلى كتفها لتزيل قصاصة ورق براقة عنه:

ـ أهذه نبوءة.. تكهن؟.

ـ يأتي الأصدقاء ويذهبون ولكن لا شيء خاص.

راقب قصاصة الورق الصغيرة تهبط إلى الأرض ببطء. فأكملت مازحة:

ـ أنت التالي.

اصطدمت نظرته بنظرتها:

ـ اوه؟ أتعرفين ما لا أعرفه؟.

ابتسمت.

ـ سمعتها من وصيفة العروس التي قالت إن أمها قالت هذا..

هز رأسه وقد استعاد مرحه.

ـ العائلة متوترة بسبب عزوبيتي. ولقد فعلوا المستحيل لتزويجي، ولكن معظم محاولاتهم باءت بالفشل.

ـ تبدو.. تبدو متعجرفاً جداً.

ضحك وقد بدت الدهشة على وجهه:

ـ لست متعجرفاً بل واقعياً فقط. ومع ذلك سأتسامح.

أستطيع مقارنة ذوقك الطيب بذوقهم التافه ولكنني لن أفعل.. لقد حان الآن موعد مكافأتي لأنني وجدت حذاءك.

مد يده التي لا تقاوم.. لكن كلماته أربكتها، فامتقع لونها:

ـ قلت لك إنني لم اعنِ ما قلت. كنت أحاول المزاح مع أصدقائي.

ارتفع حاجباه:

ـ وهل يحتاجون إلى المرح في حفل زفاف؟.

ـ لم يستطيعوا التخلص من متاعبهم.. فحاولت خلق جو مرح.. نحن جميعاً نعمل في شركة «ساينتفك برودكتس». لقد سمعت دون شك باسمها من ساندرا التي تعمل معنا أيضاً؟ وهناك كلام عن بيع وتغيير الإدارة لذا هم جميعهم قلقون على وظائفهم.. وأنا كذلك ولكنني حاولت ألا يُفسد علي هذا تمتعي بالحياة.

برزت خطوط الضحك حول فمه، وامتدت يده فوق يدها ثانية.

ـ فتاة حكيمة.. ما زلت أنتظر.

ـ لن أذهب إلى منزلي.. قلت لك إنني حجزت غرفة هنا.

ـ وأنا كذلك.

أخرج مفتاحاً من جيبه:

ـ رقمها مئة وخمسة.. ما رقم غرفتك.

ـ لا.. لا أذكر.

جذبها لتقف:

ـ فلنبحث عن الرقم.. أيمكن؟.

قالت المرأة الواقفة أمام طاولة الاستعلامات:

ـ مساء الخير سيد ماكيرتشي.

ابتسمت ابتسامة ودودة ثم أعطت هايزل مفتاحها. فأمسكت به وقالت:

ـ إنه مئة وثمانية.

ـ قبالة غرفتي تماماً.

أمسك يدها مبتعداً بها، فقالت تحاول تحريرها منه.

ـ سيد ماكيرتشي.. كنت أمزح.. لم أقصد ما قلت حرفياً. ماذا سيظن أقاربك بنا؟.. سيد ماكيرتشي.. لا أريد أن يظن الناس أنني من ذاك النوع...

ـ لن أقوم إلا باصطحابك إلى ما يماثل منزلك.

ـ شكراً لك على هذا.

وجهها نحو الباب المكتوب عليه الرقم مئة وثمانية ثم تناول منها المفتاح، واستخدمه وقال:

ـ حسناً؟.

أجابت همساً.

ـ تفضل.

خطا إلى الغرفة وأغلق الباب وراءه ثم مد يده لينزع شيئاً عن شعرها، فضحكت بخجل:

ـ مزيد من الورق؟.

ـ إنها أقصوصة على شكل نجمة.

أمسكت يده ذراعها:

ـ النجوم في عينيك أيضاً هايزل.

جذبها إليه، فرفعت رأسها، لم يكن هناك نور إلا ما تبقى من وهج الشمس بعد المغيب.. وشاهدت الدفء على قسمات وجهه.. وشيئاً آخر ممزوجاً بأشياء أخرى.. فودّت من كل قلبها لو تتمكن من التعرف إلى ما ترى.

قال همساً:

ـ أنت جميلة.. لا تقاومين.. أنت.. تدفعين إلى الحب دون مقاومة.

توترت أعصابها، تحس بوهن في ساقيها...

ـ كيف.. كيف يحدث لي هذا؟ صدمني شيء ما لم أجد وقتاً للتفكير فيه.. أنا.. أنا.. لا أريد لهذا أن يموت.

ـ لا تحاولي تحليل مشاعرك الآن.. ستكونين بذلك كمن يحرّق الغروب.

ـ ولكنه الشروق.. فالأمل في الشروق، والجمال أيضاً.. وأنا أحب الصباح.

ـ وهل سأرى وجه هذه المرأة يعكس شروق الشمس.. أعطا أمل.. وعد.. بيوم جديد؟ بحياة جديدة؟.

ـ غاريت.. لا أعرف عما تتكلم.. أنا لست.. حدث الأمر كله بسرعة.

ضغط رأسها على رأسه، فأغمضت عينيها من السعادة والاثارة:

ـ أتريدين مني أن أخفف سرعة خطواتي.. أن أتراجع تاركاً لك فرصة للهرب؟ ولكن هروبك سيقتلني.

ـ غاريت.. أريد وقتاً.. أرجوك.

تركها ببطء وهو يقول:

ـ عمت مساء هايزل.

توجه نحو الباب ليخرج، فوثب قلبها وراءه، وسألت سؤا
لم تكن تعنيه:

ـ إلى أين أنت ذاهب؟.

التفت إليها فظنته سيعود لكنه بقي حيث هو.

ـ سأخرج لأتمشى، ثم أنام.. لماذا؟.

لم تستطع أن تقول له: ظننتك سترحل.. ظننت أنـ
سأفقدك إلى الأبد. رفعت كتفيها تدعي عدم الاكتراث.

ـ كنت أتساءل فقط.

أقفلت الباب قبل أن تفصح أكثر عما يجيش في داخلها م
مشاعر.

تلك الليلة، رأته في أحلامها.. ولكنها لم تستط
ملامسته. كانت كلما مدت يدها أصبح أكثر مراوغة... يضحك
عليها بقسوة حين تصرخ أنها تريده..

أيقظتها أولى زغردات الطيور صباحاً، فتطلعت من النافذ
إلى جبال غراميان الاسكتلندية البعيدة. هذه هي الأرض التي
ولد فيها. إنها بلاد جميلة بحقولها الخضراء وجبالها البيضاء
وموسيقاها الغريبة الجميلة ومناظرها الخلابة. إن هذه الوديا
المعزولة وهذه المراعي الشاسعة إضافة إلى نقود والديه
لعبت دوراً في تكوين شخصيته.

هل أخطأت عندما تركته يذهب ليل أمس، حين كان
شيء فيَّ يقول لي: دعيه يبقى! ترى بم كانت ستشعر

سحت له بالبقاء؟ بالتأكيد يشبه هذا الشعور بالفراغ الذي
حتاح نفسها جاعلاً منها نصف حية فاترة الهمة.

سمعت صرير الباب، فالتفتت مجفلة لا تصدق عينيها..
ه غاريت! قميصه مفتوح، شعره مبتل من أثر الاستحمام..
قفل الباب بهدوء ووقف يحمل مفتاحاً.. رماه إلى الكرسي.

ـ حملته معي ليلة أمس.. كنت أنوي العودة.. أردتِ أن
أمهلك بعض الوقت فأمهلتك.

رفعت نفسها على مرفقها فوق الوسادة:

ـ اوه.. غاريت.. لست واثقة.. لا أعرف...

جلس قربها على السرير وجذبها إليه:

ـ بل تعرفين.. عرفت كما عرفت أنا حالما التقت عيوننا،
عرفت ماذا ستُشعرك لمستي. عرفت ما سيكون طعمك وما
سيكون رائحتك. هذا العطر..

حاولت أن تضحك، لكن باهتزاز:

ـ انه رائحتي.. لم أضف شيئاً... غاريت.. لقد
عرفتك.. لا.. هذا غير صحيح.. أنا لا أعرفك.. التقيتك
للأمس في الخامسة بعد الظهر تقريباً.

رفعها حتى أصبحت راكعة، فعقد ذراعيه حول خصرها
وعقدت ذراعيها حول عنقه ووضعت ذقنها فوق رأسه. أغمضت
عينيها وهي تقول:

ـ أعرفك منذ سنوات.. أنت رجل أحلامي منذ عرفت ما
هو الحب... اوه غاريت.. تنبئني تربيتي إلى أن هذا خطأ.
ولكن مشاعري تقول إنه صح... فماذا أصدق؟.

كان جامداً دون حراك فابتعدت قليلاً لتنظر إليه.. لم يكن يحاول إجبارها على شيء، بل كان ينتظر!.

فحبست أنفاسها:

ـ أرجوك.. أنا في أرض غريبة.. ضائعة غاريت.

ـ ولكنك لست غريبة.. وما أنا بغريب.. أنا شقيق ساندرا، لا عابر سبيل. ألا يبعث إليك هذا ثقة بي.

همست:

ـ هل سترشدني.. هل ستدلني على الطريق؟.

أبعدها عنه قليلاً:

ـ تعرفي إليّ كما سأتعرّف إليك.. فليرسخ وجهي في ذاكرتك كما رسخ كيانك كله في ذاكرتي.

أضاء وجهه بالحياة حين رأى سعادتها، فشد على خصرها، حتى باتت على حافة انقطاع الأنفاس.

ـ هل تشكين فيّ حبيبتي؟ أتريدين أن أمهلك مزيداً من الوقت.

دفع امتنانها على تسامحه وتفهمه، وسيطرته على ذاته الدمع إلى عينيها:

ـ لا.. لا غاريت.. أثق بك كما لم أثق بأحد قط وأريدك كما لم أرد شخصاً من قبل.. وتأكد أنك الأول في قلبي غاريت.

ورمت كل الشكوك وراء ظهرها.

قال لها:

ـ لن أتركك تذهبين.. أريد منك أن تتزوجيني، إياك أن

تقولي إن الوقت مبكر. تعلمين خير معرفة أن عواطفنا صادقة وعلى كافة المستويات.. فهل تتزوجيني؟.

ـ ولكن.. غاريت.. أنا سيئة الطباع أحياناً أغضب لأشياء تافهة، وأصيح في وجوه الناس، خاصة صباحاً.

ضحك وهو يقول:

ـ وما الأمر المزعج في هذه الحالات؟ أنا أحياناً كالدب، لا أطاق أبداً.. كما قيل لي.. اسألي ساندرا.. أيجعلك هذا تكرهينني؟.

ضحكت بدورها، ثم تنهدت.

ـ ليس لهذا أقل فرق عندي.. مشاعري تجاهك تعلو على أي شيء آخر، وأظن أنني سأصبر عليك ما دمت تضمني هكذا.. كل ليلة.

ـ أنا أضمن لك ذلك، فهل ستقولين «نعم» يا حبي؟.

ـ نعم.. نعم غاريت.. اوه.. غاريت. لم أكن لأتصور يوماً أنني قادرة على الشعور بمثل هذه السعادة المفرطة بل لم أتصور أن الحياة قد تكون رائعة هكذا.. في الواقع، روعتها تخيفني.

ـ هل سيُشعرك هذا بأمان أكبر؟.

أمسك يدها بسرعة، ليدس في إصبعها خاتم خطوبة.

ـ كان هذا لجدتي.. أعطاني إياه والديّ.. وأريد أن يبقى في يدك حتى تنتقي خاتماً آخر.

ـ سأرعاه بكل جوارحي.

ـ لقد وهبتك جزءاً مني.. من عائلتي.. من ماضيّ. أترين

الآن إلى أي حدّ أفكر فيك؟.

ـ بعد هذا الوقت القصير...؟ ما زلت غير قادرة على التصديق... ولكنني أحبك!.

فكرت في ما بقي لديها من اتزان.. أهذه حقيقة؟ هل أحبه حقاً وأنا لم أتعرّف إليه إلا منذ أقلّ من يوم كامل؟ غاصت أفكارها في الحلم.. إنها الحقيقة... واستسلمت قوى التعقل لموجة مد العواطف...

وسمعته يتمتم:

ـ هايزل.. أنت لي.. أنت زوجتي.. أتفهمين؟ أعهد بنفسي إليك.. أمّا المراسم الرسمية فستكون قريبة.. ولكنك مرتبطة بي منذ الآن.

ـ أنا مرتبطة بك غاريت.

وفكرت: وأنت مرتبط بي... فلماذا لم تقل هذا؟

ـ أما زلت غريباً عنك؟.

ـ لقد تركتك تقترب مني كما لم يقترب مني أحد قط.. ومع ذلك ما زلت أشعر أنك غريب.

وجدت أخيراً عيناها الشجاعة لتلتقي بعينيه بعد التحدي الذي أطلقته فارتدتا بفعل التحفظ البارد في عينيه. ولكن هذه النظرة سرعان ما اختفت إذ ردَّ عليها وهو يمرّر يديه على كتفيها.

ـ الزمن كفيل بهذا.

هزت رأسها تتنهد بسعادة.

تأخرا في النزول إلى قاعة الطعام طلباً للفطور.. وعندما

وصلا إليها جال نظرها في القاعة فإذا بها لا تجد أحدّاً تعرفه.

دلّهما ساقٍ إلى طاولة قرب النافذة، كانت كإطار للمنظر الذي خلفها، فلم تستطع هايزل انتزاع بصرها عن المنظر.

نظرت إلى الخاتم في اصبعها ومن ثمّ إلى الرجل الذي أعطاها إياه وسألت نفسها بصوت مرتفع:

ـ هل أحلم؟

رد عليها:

ـ إن كنت تحلمين فمن المستحسن أن أكون أنا في حلمك.

ابتسمت تتلاعب بالخاتم: «أرجو ألا تكون مجرد حلم».

مد يده إلى الطاولة: «تحسسيني».

حين مدت أناملها أطبقت أنامله عليها، فاحمر وجهها بسرعة وطافت عيناها بالغرفة، فتمتم:

ـ لا ينظر إلينا أحد إذا كنت خائفة من هذا. يبدو أن معظم أفراد عائلتي استفاقوا باكراً ورحلوا.. هل هناك أحد من زملائك؟.

هزت رأسها:

ـ حجزت لي ساندرا في الفندق على حسابها الخاص.. أما سائر الرفاق فلم يستطيعوا تحمل نفقات المبيت فيه. على أي حال إنهم جميعاً قلقون على مستقبلهم ولن يبقوا طويلاً للتمتع بوقتهم.. إذا كنت تفهم ما أعني.

ـ ليس بالضبط.

ـ لرئيس الشركة الجديد سمعة رهيبة.

كشر عن وجهه، فضحكت، وسأل:

ـ كيف؟ بتصرفاته؟ ربما هو مخبول لا يعرف ما يفعل.

ـ بل أسوأ من ذلك.. إنه ماهر في عمله، يظهر الاهمال دون النظر إلى النواحي الإنسانية.. فليس الموظف بالنسبة له إلا رقماً احصائياً لا إنساناً، لذا نحن جميعنا نخشاه.

ـ اذن.. لو فكر في دس أنفه في باب شركتكم. لوقعت المتاعب على رؤوسكم.

ـ متاعب كبيرة.

ـ هل ستكونين في الصف الأول من التمرد؟.

ـ بل سأقوده.

وضحكت، فعادت النجوم إلى عينيها..

ـ قل لي.. هل طلبت مني الزواج حقاً؟.

ـ وهل نسيت بسرعة؟.

هزت رأسها:

ـ بل أتأكد ثانية من أنني لا أحلم.

نظر غاريت إلى جماعة من الناس يدخلون إلى قاعة الطعام ورفع يده ليحييهم ولكنه لم يحاول محادثتهم، فأحست هايزل بعيونهم تنصب عليها فسألت:

ـ أقرباؤك؟

ـ بل أصدقاء للعائلة.. حدثيني عن عملك.

وابتسم مشجعاً، فرفعت كتفيها.

ـ يبدو لي الآن وكأنه عالم آخر. أعمل في قسم الأبحاث في شركة «ساينتيفك برودكتس» وأخي روبن، يعمل في القسم ذاته معي. وكذلك جيس كايسي...

ـ جيس؟ أهو من لم يرد منك مرافقتي؟

ابتسمت:

ـ صحيح! يظن أن بيننا.. تفاهماً.

ـ وأنت لا تظنين هذا؟ متى ستريحينه من بؤسه؟.

ـ حين أراه ثانية سأريه الخاتم.. إني إلى الآن لا أصدق أن هذا حدث. أخبرني غاريت! هل طلبت مني حقاً الزواج؟.

رد بصبر وهو يرفع فنجان قهوته:

ـ نعم طلبت منك الزواج.. نخب هايزل زوجتي العتيدة.

ـ نخبك غاريت، ونخب ساندرا.. أينما حلّت لأن لها أخاً رائعاً مثلك.

ارتشفت قليلاً من قهوتها وأعادت الفنجان إلى صحنه.

ـ وماذا عن عملك أنت غاريت؟.

ـ أتبقين على عهدك لي لو قلت إني فنان مجهول أعيش في نيو.

ردت دون تردد.

ـ لا يهمني ما أنت، بلا لا يهمني ولو كنت دون عمل منذ سنوات. سأتزوجك.

ـ إذن أنا رجل أعمال، يشغلني عملي معظم الوقت. هواياتي مختلفة، داخل المنزل وخارجه.

أسندت رأسها بين يديها ومرفقيها على الطاولة.

ـ أتسافر حول العالم؟.

ـ أسافر إلى حيث يدعوني العمل.

رفع غاريت رأسه عندما سمع رجلاً يناديه.

ـ مرحبا غاريت.

ثم نظرت امرأة إلى غاريت فحدثته بلغة لم تفهمها هايزل فرد عليها غاريت، ثم هز الثلاثة رؤوسهم يتابعون التحديق إلى هايزل، ويتخذون لهم مقاعد إلى إحدى الطاولات.

ـ أهم أقرباء لم ترهم منذ زمن؟.

هز رأسه ايجاباً:

ـ منذ زمن كاف للرغبة في التطفل على حياتي الخاصة.

ـ أظنهم سألوك عني؟ هل أخبرتهم؟.

دفع كرسيه إلى الوراء:

ـ لا. إذا كنت جاهزة، فلنذهب من هنا.

في غرفة الفندق، أمسك بوجهها، وقال:

ـ ابقي هنا.. أحب عينيك الضاحكتين. جمالك..

همست:

ـ أنا لست جميلة غاريت...

هز رأسه وكأنه مغتاظ من رفضها:

ـ إنه كل ما يحيط بك.. السحر الذي لا تدركين أنك تملكينه.. والذكاء الذي يشعّ في وجهك.

عقدت ذراعيها حول عنقه، وشدتهما حين أحست أن هذا كله غير حقيقي. إنه حلم من نسيج خيالها.

نزلا معاً السلم يداً بيد، يحمل حقيبتها وحقيبته. كان قد دفع فواتير الفندق فلديه كونه أخاً لساندرا الحق في فعل ذلك.

شاهدت في فناء الفندق زوجين متوسطي العمر يسرعان إلى غرفة الطعام لتناول فطور متأخر.

استطاعت مع بعض التفكير أن تعرف أنهما والداه فتساءلت ترى ما ستكون عليه ردة فعلهما عندما يريان الالفة الجديدة التي لا تستطيع هي أو هو اخفاؤها. ماذا سيظنون عندما سيرون ظهرهما أو عندما يطالعهما بريق عينيها أو عندما يرمقان يده وهي تمسك بيدها؟.

رفعا نظرهما إليهما مبتسمين.. ثم حدقا بدهشة ومع أنهما سرعان ما استعادا رباطة جأشهما، ظلّ في عيني السيدة ماكيرتشي سؤالاً.. ولكنها طرحت سؤالاً مختلفاً على هايزل:

ـ هل تمتعت بحفلة الزفاف عزيزتي؟ أتعرفين غاريت قبل الأمس؟.

رفعت هايزل نظرها إلى غاريت حائرة ولمّا لم تجد في وجهه شيئاً ردت تجنباً للكذب المباشر:

ـ كانتَ ساندرا تحدثني عنه.

حسناً.. هذا ليس كذباً، فقد قالت لها يوماً إنه في الثالثة والثلاثين وإنه أكبر منها بثماني سنوات.

ـ توقفي عن البحث لأجلي أمي.

كان غاريت قد تحدث إلى أمه دون أن تتغير تعابير وجهه ثم أضاف: لقد وجدتها.

ردت السيدة متوترة:

ـ من وجدت يا عزيزي؟... وماذا عن مارجي...؟.

تدخل السيد ماكيرتشي:

ـ أليس هذا أمراً رائعاً، ومناسباً. ستكون رئيساً عليها منذ الآن وصاعداً.. أليس كذلك يا بني؟.

سألت هايزل وهي تسحب يدها من يد غاريت:

ـ ماذا تعني سيد ماكيرتشي؟.

ـ سيكون رئيسك الجديد.. ألم تعرفي هذا عزيزتي؟ ألم تخبرك ساندرا؟

* * *

فراشة الحبة

٢ ـ ربما كان وهماً!

راحت هايزل تنظر إلى الخارج من نافذة شقتها المؤلفة من غرفتين. كانت تنظر دون أن ترى حدود الحديقة العامة الممتدة يميناً ويساراً قبالة المنزل المبني في بداية القرن العشرين.

تنهدت ناظرة إلى يدها.. الخاتم الذي قدّمه لها غاريت لم يترك أثراً..

كان ذلك كله حلماً.. راحت تتذكر طريقة فراقهما التعسة القاسية.

كان والداه قد ابتعدا حين سألها بقسوة:

ـ حسناً؟

أصبحت باردة كالثلج، فخلال فترة تعارفهما القصيرة لم يستخدم هذه النبرة القاسية معها، فردت:

ـ أنا آسفة.

وبدأت تخلع الخاتم...

وأمسك معصمها ليجرها إلى صالون قريب فارغ أقفل بابه.

ـ آسفة.. حقاً آسفة؟ على ماذا؟

ارتجفت هايزل:

ـ لقد انتهى الأمر.. مع أنه لم يبدأ بالفعل. صحيح؟ بضع

ساعات معاً...

هزت رأسها والدموع تهدّد بالانهمار:

ـ لم يستحق ذلك طلب زواج سيد ماكيرتشي. أو مواجهتي بما لوّحت إلى إنه إرث عائلي.

أخرجت الخاتم في تلك اللحظة وأعادته إليه، ولكنه عندما لم يأخذه منها وضعته في جيبه ثم سحبت يدها بسرعة وكأنها احترقت من قربها منه.. فقال:

ـ أخبريني شيئاً. ما الفرق بين أن أكون حبيباً وبين أن أكون رئيسك الجديد؟

ـ ألا تعلم حقاً؟ كنت كرجل أبدى لي الحب، ندّاً لي.. أما وقد أصبحت ربّ عملي فصرت في عالم مختلف.

ـ تزوجيني تصبحي جزءاً من ذلك العالم.

ـ الأمر لا يتعلق بعالمك فقط.. إنه.. إنه أنت.. شخصيتك.. وما سمعته عنك.. وعن عدم اهتمامك بما تسببه قراراتك من أذية وألم للموظفين وعن طريقتك في طردهم دون أي تعويض...

ترنحت.. فامتدت يده إليها ولكنها تراجعت.. عندئذٍ أمسكها، فشهقت لأن يده الأخرى أمسكت مؤخرة عنقها لتثنيها. قاومته لتتخلص، ولكن عناقه كان ينكر عليها حتى حق التنفس وحتى الوقوف على قدميها اللتين راحتا تهنان وتضعفان. وجدت يداها ذراعيه وأصبح جسده دعمها الوحيد...

عندما شعرت بأنها تبادله عناقه انتزعت نفسها بعيداً عنه وهرعت إلى الباب.

حملت حقيبتها التي كان غاريت قد وضعها في البهو ثم راحت تعدو إلى الخارج وهي تشعر به يعدو خلفها.

سمعت صوت امرأة تناديها:

ـ أتريدين أن أقلك إلى المحطة يا عزيزتي.

كانت هايزل قد تعرفت إلى المرأة في الحفلة فردت:

ـ أجل.. أرجوك.

وصعدت السيارة.

* * *

كان قد مضى ثلاثة أسابيع على حفلة الزفاف، حاولت خلالها هايزل نسيان لقائها برجل اسمه غاريت ماكرتشي.. ولكن محاولاتها لنسيانه باءت جميعاً بالفشل لأنها لم تستطع إخراجه من تفكيرها.

في العمل، كان أخوها ينظر إليها بقلق. أما كارول خطيبته فكانت تسألها:

ـ هل أنت بخير هايزل؟.

حملت بسمتها الاقناع وهي ترد:

ـ لا يمكن أن أكون أفضل حالاً.

حين عادت ساندرا من شهر العسل اندفعت إلى قسم الأبحاث تبحث عن هايزل، التي عانقت صديقتها بحرارة وقالت مسرورة بها:

ـ تبدين عظيمة.. هل الزواج رائع هكذا؟.

ـ آه نعم إنه رائع! ستجربينه يوماً.. ولكنك لا تبدين على

ما يرام.

ـ أنا بخير!.

ـ أعندك شيء يوم السبت؟ سنقيم أنا وويلي حفل شواء، ولن ندعو إليها إلا بعض أصدقائي وأصدقائه. تعالي في السابعة.

حين حاولت الانسحاب، تحدتها هايزل متهورة:

ـ لماذا لم تخبريني عن شقيقك؟.

قطبت ساندرا جبينها:

ـ أتشيرين إلى ابتياع شركته شركتنا؟ لقد طلب ألا أذكر الخبر أمام أي موظف في الشركة، حتى أصدقائي.. آسفة هايزل.. ولكنني حاولت تحذيرك في حفلة الزفاف.

تنهدت هايزل ثم أطرقت رأسها.

ـ أشكرك على ذلك.

بدا القلق على وجه ساندرا.

ـ اسمعي هايزل.. لا أعلم إلى أيّ حدّ تورطت معه.. ولكن.. ولكنه أكثر الرجال سحراً.. يقال إنه يشبهني.. مع أنه ليس لي عيناه الرهيبتان ولا مظهره الجميل.. هايزل إنه يسلب لب الناس ويجعلهم يفعلون ما يريده حتى ضد ارادتهم.

صرّت هايزل على أسنانها، ثم أطرقت رأسها فهي أفضل من يفهم ما تعنيه ساندرا. ألم يسلب لبها حين ناداها «يا حبي» وحين صاح بها «أنت زوجتي»، وحين تمادى إلى درجة أن قال إن رحيلها سيقتله..

ـ وفيه جانب آخر يا هايزل. إن سحره يتسلل إلى ما تحت

الحد. أما بالنسبة لعمله، فإنه لا يدع شيئاً.. أي شيء على الإطلاق.. يقف في طريقه.

ـ قابلت أمك بعد الزفاف وقد ذكرت شيئاً عن فتاة تدعى مارجي.

ـ إنها ابنة أصدقاء للعائلة.. ونحن نتوقع أن يعلن غاريت خطوبته عليها قريباً.

نظرت ساندرا إلى ساعة المكتب وتابعت:

ـ تذكري يوم السبت.. أراك فيما بعد.

وقفت هايزل في الغرفة الفارغة، تحس فراغاً في قلبها... ونظر إلى ما حولها.. عمن تبحثين؟.

استدار رجل من زاوية الممر وتوجّه إليها وعيناه تبرقان.

ـ هايزل! لم أستطع حضور حفلة زفاف ساندرا.. كيف كانت؟.

ـ كانت رائعة جاك وكانت العروس فيه جميلة..

ـ كل العرائس جميلات في أعراسهن.

ابتسم جاك ولكن المرارة كانت بادية على وجهه.. هل تتشاجر مع زوجته ثانية؟.

ـ جاك.. أسمعت الخبر؟ إن رئيس الشركة التي ستشتري شركتنا هو شقيق ساندرا.. أم لعلك عارف؟ فأنت وبيتر من مؤسسي ساينتفيك برودكتس، أليس كذلك؟.

ارتفعت كتفاه ثم أنزلهما:

ـ لم يكن بالامكان تجنب هذا هايزل.. لقد عرض علينا سعراً جيداً.. أتتناولين الغداء في مطعم الشركة؟.

ـ أحياناً.

ـ عظيم.. احجزي لي مقعداً اليوم.

ابتسمت هايزل وعادت إلى طاولتها.

وصل جاك إلى المطعم قبلها فوقف أمام طاولة يبحث عنها بين الجموع.. عندما رآها تدخل رفع يده يحييها. ردت عليه ثم تناولت صينية طعامها وتوجهت إليه. حيث جذب لها جاك كرسياً، ثم جلس قبالتها.

ـ أليس رهيباً أن يستولي أحد على الأعمال التي وضعتها في الشركة؟.

رفع جاك عينين ساهمتين إشارة إلى أن تفكيره في مكان آخر. وسأل:

ـ آسف..؟

ما عاد جاك رجل الأعمال المكتمل الذي عرفته فاعتصر قلبها ألماً عليه، فسألت بلطف:

ـ أهناك خطب ما جاك؟.

مرر يده على جبينه.

ـ كل شيء خاطىء.. ألم تعرفي؟ لقد هجرتني زوجتي منذ أسابيع، حاملة تونى، ابننا الصغير معها..

ـ أنا آسفة.. أنت وحدك إذن؟.

ـ هذا أقل ما أهتم به، فأنا أشتاق إليها وأشتاق إلى ابني.. أريد عودتهما.. لكن.

ـ أهناك رجل آخر؟.

هز كتفيه..

ـ من يعلم؟ لا أريد أن أجعل الفراق قانونياً حتى الآن.. ليتني أعرف ماذا فعلت.. ليتها تحدثت إليّ قبل أن ترحل.. كيف لي أن أدافع عن نفسي، أو أن أصحح أي شيء وأنا لا أعرف الجرم الذي ارتكبته؟.

انضم إليهما جيس كايسي، وجذب كرسياً.

ـ مرحبا هايزل.

التفت إلى جاك:

ـ أسمعت الخبر؟ الرجل الذي اشترى شركتنا، تبيّن أنه شقيق ساندرا.. ما رأيك؟.

رفع سندويشه إلى فمه ثم عاد ليحدق إلى جاك الذي رد عليه بصبر:

ـ إذا كنت تلمح إلى أنه كان علينا أن نخبرك بهوية الرئيس الجديد أنا آسف جيس.. ولكن رغبة السيد ماكيرتشي كانت أن نلوذ بالصمت.

هز جيس رأسه، فعلقت هايزل:.

ـ أظنه قصد بذلك حماية ساندرا.

ـ مم؟ من تعليقاتنا المهنئة المتعلقة بطرقه الوحشية في ادارة الشركة؟.

رد جاك:

ـ جيس.. لا نعرف حتى الآن شيئاً عن طرقه.. .

ـ ألا نعرف؟ اسأل شقيق هايزل يخبرك عن الرجل الذي طرده ماكيرتشي وهو رب لثلاثة أطفال أو عن السكرتيرة التي صرفها وهي زوجة لرجل مقعد.

ـ إنها قرارات ادارية جيس. لا يمكن لرئيس مجلس ادارة شركة عالمية كشركته...

ـ ولكنه فعل.. إنها تعليمات رئيس مجلس الادارة.. هذا ما قيل.

تحرك ينظر إلى هايزل:

ـ كنت تعرفين هذا ومع ذلك كنت برفقته في حفل الزفاف لقد رأيتكما تذهبان معاً.

جاء دور هايزل لتتململ في مقعدها:

ـ لم أكن أعرف هويته جيس.. ولو عرفت، لما رافقته إلى أي مكان ولو مقابل ثروة..

ارتدّ جاك في كرسيه قائلاً:

ـ سأتصل بك فيما بعد هايزل.

ابتسمت هايزل وهزت رأسها أما جيس فراقبه مبتعداً ثم قال:

ـ إنه متزوج.

ضحكت هايزل.

ـ إذا بقيت تحذرني من كل من أبتسم له جيس.. فسأبدأ بالتساؤل...

ـ لك ابتسامة جميلة.

ضحكت ثانية وردت بطريقة لطيفة:

ـ والآن جيس.. لك صديقة رائعة.. فما مشكلتك؟ هل وجدت لنفسها رجلاً آخر؟.

امتقع وجهه فدهشت.

ـ تخاصمنا، فخرجت مع صديقي.

هزت هايزل رأسها، فهي تعرف تماماً ما يحس به.. فهناك رجل.. حسناً، ما الفائدة، لديه فتاة أخرى. فما جدوى أن تحبه؟.

قبل يومين من موعد حفل الشواء، وقف جيس أمام مكتب هايزل:

ـ تسري شائعة تفيد أن الأخ الأكبر سيزورنا زيارة رسمية.

ارتفع رأسها بحدة:

ـ متى؟ اليوم؟ لماذا؟.

ـ ليتفرج علينا على ما أعتقد.. ليعد الرؤوس، وليتخلص من الاهمال، وهذا ما هو مشهور به.

ما إن توجه إلى مكتبه حتى انفتح الباب.

ألقت عينان بنيتان مسيطرتان نظرة عامة سريعة على الموظفة الشاحبة التي ارتجفت يداها ثم انتقلتا إلى جيس.

كان غاريت قد دخل برفقة جاك نيومن وغراهام انديرز اللذين بنيا الشركة على أكتافهما حتى أصبحت تحوي على ما يزيد عن الخمسين موظفاً...

حينما رحلوا كانوا ما يزالون يتحدثون. لقد خرج غاريت دون أن ينظر إليها! وكأنها غير موجودة.

أنّبت نفسها للمرة الألف على تصرفها الأرعن! لماذا لم تتذكر ما قد تكون عواقب اندفاعها؟ لماذا أعمتها مشاعرها؟ لماذا طغت عليها جاذبية غاريت حتى نسيت كل ما تعلمته من الحياة؟.

ذلك المساء، اتصل روبن يسألها إذا كان بإمكانه وكاترين

زيارتها.. فوافقت.. علماً أن دهشتها كانت كبيرة لأن أخاها نادراً ما يزورها. ولكن على ما يبدو أن روبن وكاترين حملا معهما حفنة من مشاكلهما الخاصة.

قال روبن وهو يتمدد على كرسي:

ـ ثمة شائعة تقول إننا على لائحة التطهير.. كيف لنا أن نوفر المال لنتزوج إذا ما فقدنا عملنا؟.

ارتاعت هايزل:

ـ قسم الأبحاث كله؟.. لا روبن.. مستحيل! ألهذا السبب حضر هذا الصباح؟ أليعدّ الرؤوس، ويحضّر المقصلة؟.

ـ مالياً وتوظيفياً.

في المطبخ ساعدت كاترين هايزل في إعداد القهوة... وسألتها.

ـ هل أنت بخير؟.

ـ أجل.. لماذا تسألين؟.

ـ لأنك لست على ما يرام تبدين وكأنك على وشك الاجهاش بالبكاء.. اسمعي. سأكون زوجة أخيك في يوم ما.. لذلك هيا هايزل أخبريني..

نظرت إلى الخارج من نافذة المطبخ ثم راحت تخبرها باختصار.

ـ آه ماذا تقولين هايزل؟ أحقاً تحبين رجلاً كهذا؟.

هزت رأسها يائسة وبدأت ترتجف.

ـ اوه..

ـ هايزل.. أنت متوترة جداً..

بعد لحظات قالت كاترين:

ـ أتمانعين لو أطلعت روبن؟

لم يكن هناك حاجة إلى إخباره لأنه كان قد سمع.. قال روبن:

ـ شاهدتك معه.. ولكنني لم أفكر في أنك أحببته. ولم أكن أعرف من هو ساعتها.. هايزل.. ألم يتصل بك؟.

ـ لا، لم يكن قريباً مني مؤخراً. ولم أتوقع منه اتصالاً.

امتنعت عن الكلام برهة ثم أضافت:

ـ لديه فتاة أخرى.. أخبرتني ساندرا.. اسمها مارجي.. وعائلته تتوقع أن يعلن خطوبته.

غضب روبن:

ـ عليك نسيانه ومحو حبّه من قلبك.

ابتسمت هايزل.

ـ لا أدري كيف أنساه وأنسى حبه.

ـ إذا مضى غاريت قدماً في توقيف قسم الأبحاث فستفقدين وظيفتك أيضاً.

رافقتهما حتى الباب وردت.

ـ هذا صحيح.. أنت تفرحني بكلامك... ولكن ربما سيكون كل شيء على ما يرام... ربما غداً.. أو بعده..

أوه.. يا الله، فليكن هذا في أسرع وقت.

* * *

فراشة المحبة

٣ ـ مركب الحياة.. لا يهدأ..

أحست هايزل صبيحة يوم حفلة الشواء التي ستقيمها ساندرا بتصاعد طفيف في روحها المعنوية.. على الرغم من عجزها عن نسيان غاريت وعلى الرغم من آلام قلبها شعرت بالفرح لأنها ستشارك صديقتها فرحتها في هذا اليوم.

اختارت فستاناً أبيض ضيقاً، من الحرير المخرم، ذا أكمام تلتصق بذراعيها، وياقة منخفضة من الخلف والأمام...

وضعت حول عنقها قلادة وفي أذنيها قرطين جميلين ثم استخدمت قليلاً من الماكياج وبعد ذلك مشطت شعرها حتى راح يلمع. نظرت إلى أناقتها: لن تهتم ولو ارتدى جميع المدعوين الجينز.

استقبلتها ساندرا في المنزل العصري الأنيق الذي اختارته لتسكن فيه مع ويليام.

ـ تبدين رائعة.. ولكن شاحبة قليلاً ومختلفة..

ـ أنا بخير حقاً.

ـ سألني غاريت بإلحاح عن موعد وصولك. أهناك شيء ما بينكما لم ألحظه؟.

خفق قلب هايزل:

ـ لا شيء أبداً ساندرا.. ألم تحذريني منه؟.

ـ حسناً.. ادخلي، نحن في الحديقة.. أتودين شراباً؟ جاك هنا أيضاً.. جاك احضر شراباً لهايزل، ثم الحقا بنا إلى الخارج.

ابتسمت هايزل لجاك.

ـ أليس هذا المنزل جميلاً؟ كيف تمكنا من شرائه؟.

ـ سألت السؤال ذاته، ويبدو أن الشقيق الأكبر قد دفع الفاتورة.

ـ غاريت.. أعني السيد ماكيرتشي اشتراه لهما؟.

ـ هذا ما قالته ساندرا. لديه رغم الشائعات جانب طيب.

ـ وهل تلقيت أخباراً من زوجتك؟.

ـ لا، لم أتلق شيئاً. ليست نولا من النوع الذي يحب التواصل.. كنا في أواخر أيامنا نكاد لا نتفوه بكلمة.. كانت تتصل بي أحياناً بواسطة ولدنا، توني.. أما في معظم الأوقات فكان الصمت ثالثنا.. حاولت كسر هذا الحاجز ولكنني فشلت.

ثم فجأة بدا لها جاك وكأنه عاد إلى أرض الواقع فنظرت إلى ما حولها تتحقق إلى ما ينظر إليه.. كان هناك حفنة من الوجوه المألوفة أصدقاء لساندرا وويلي، يضحكون ويتحدثون.

وكان هناك امرأة لا تضحك.. سوداء الشعر، ترفعه عالياً فوق جبهتها وتربطه من الخلف، ثم ترميه إلى الأمام من فوق كتفها. ولم تعرف هايزل لماذا ارتجفت..

تقدم جاك يعرض عليها بعض الفستق فالتقطت بضع حبات شاكرة، ثم رفعت رأسها لترمي الحبات واحدة واحدة في فمها

وبعد ذلك نفضت يديها من الملح.. وسمعت جاك يقول وهو ينظر إلى الموجودين:

ـ بيتر هنا في مكان ما.

ولكنها لم تنظر فغاريت هنا وهي لا تريد أن تراه.

ـ عظيم.. هذا ما طالما أعجبني في شركتنا.. الصداقة بين الإدارة والموظفين.

سحب نظره عن الموجودين وابتسم لها:

ـ هيا فلنأكل.

كانت قطع اللحم تشوى فوق الموقد.. وكان هناك الكباب، وقطع اللحم والتقانق الممزوجة مع قطع الطماطم والفلفل الأخضر، وقطع الجبن. استخدمت هايزل الملقط لتلتقط الخليط الساخن ثم انتزعت قطعة كباب ورفعتها إلى فم جاك.

ـ خذ.. أعرف أننا يجب أن نضعها في طبق.. ولكن هذا يبهج النفس أكثر. كن حذراً إنها ساخنة.

أمسك يدها ليثبتها، ثم قاد اليد بما فيها من طعام إلى فمه، محافظاً على قبضته لها مبتسماً لهايزل... إنها المرة الأولى منذ أسابيع التي تظهر فيها على جاك السعادة.. ضحكت له وهي ترفع قطعة كباب إلى أسنانها لتقضمها.. ولكن عينيها تسمّرتا على عينين بنيتين صافيتين غاضبتين حدقتا إليها بغضب قبل أن تنتقلا إلى ضيفها وقال جاك:

ـ رأيته منذ لحظات.. ولكنني لم أشأ أن أفسد عليك أمسيتك بالقول إن الرجل الذي تكرهينه موجود هنا.

ماتت الضحكة من عينيها ميتة شنيعة.. كانت هذه النظرة أشبه بنظرته الأولى حين التقيا في حفلة زفاف ساندرا.

فتشت عن صحن تضع فيه الطعام، ثم نظفت فمها بمنديل ورقي.. لقد فقدت شهيتها للطعام، وفقدت معه تصميمها على التمتع بسهرتها.

هل تتقدم منه وتتحدث إليه؟ لكنه لا يقف وحده...

فالمرأة النحيلة ذات الشعر الأسود تقف إلى جانبه واضعة يدها في ذراعه.. هذه هي إذن المرأة المسماة مارجي المرأة التي ذكرتها أمه والتي سيعلن غاريت قريباً عن خطبته لها! أيمكن لهايزل أن تنافس امرأة كهذه؟.

نظرت إلى ما حولها تبحث عن مكان تهرب إليه.

أهي مخيلتها أم أن أنوار الحديقة انطفأت والسماء امتلأت بالضباب الأسود والهواء اشتدت برودته؟.

فسألها جاك:

ـ ما بك؟ أنت شاحبة تماماً. ادخلي بحثاً عن الدفء.

تقدم بيتر منهما:

ـ مرحبا.. كيف حالك هايزل؟.

ولكن هايزل وجدت صعوبة في الرد، قال جاك:

ـ أظنها شاحبة جداً.

شاهدت غاريت بطرف عينها يترك صديقته ويتجه نحوهم.

فردت بسرعة مبتسمة:

ـ لا.. لا.. أنا بخير.

عبست وهي تحاول إخفاء خوفها من تقدم الرجل الطويل

المدعو غاريت ماكيرتشي. كان الناس يؤخرونه قليلاً، يتحدثون إليه، يضحكون، ولكنه كان يستمر في التقدم والاقتراب منها.

سألت تحاول الهاء نفسها:

ـ أتظنان أن العمل سيبقى على حاله في الشركة تحت الادارة الجديدة؟.

رد بيتر متفائلاً ومتراجعاً بضع خطوات:

ـ اسألي الإدارة الجديدة نفسها، السيد ماكيرتشي.

والتفت إلى غاريت الذي وصل إليهم:

ـ تتسائل الآنسة براون هنا عما إذا كانت الشركة ستبقى على حالها تحت ادارتك؟.

لم يكن هناك ردّ في العينين اللتين استقرتا على وجه هايزل.. فالعدائية التي كانت تطالعها منه عندما كان بعيداً عنها باتت أكثر بروزاً عن قرب.

رد غاريت:

ـ أقترح أن تنتظر الآنسة براون حتى ترى الأمر بأمّ عينيها. إن لم يعجبها الجو من الآن وصاعداً فلتتخذ الاتجاه المفتوح للجميع. فلتستقل!.

نظر بيتر مذعوراً من أحدهما إلى الآخر وقال:

ـ هذا آخر ما أريده أنا وجاك أن تفعله.. إنها شابة دمثة دافئة، دون ذكر كفاءتها.. لذا ستكون استقالتها خسارة للشركة.

ردت هايزل بابتسامة متوترة.

ـ هذا لطف كبير منك بيتر.. ولكنني لن أتمتع بالعمل في جو رسمي متصلب.. سأبحث عن وظيفة أخرى. اعذرني بيتر واعذرني سيد ماكيرتشي..

ارتدت على عقبيها تنزل الدرجات نحو الحديقة.

كانت في منتصف الطريق عندما أمسكتها يد ادارتها إلى الخلف.

ـ أنت خبيرة في الهرب.. هذه المرة لا حذاء ضائع، لقد نسيت هذه الخدعة، وإلا لكنت الأمير الساحر مرة أخرى وعندها سنعود من حيث بدأنا.. أليس كذلك؟.

صاحت به:

ـ مطلقاً.. لن نعود أبداً إلى نقطة البداية.

ـ أريد التحدث إليك.

ـ لا.. شكراً.. لقد قلنا ما كان يجب أن نقوله لبعضنا بعضاً. ارجع إلى حبيبتك إنها تفتش عنك.

امتدت يده وكأنه يحاول إسكات سخريتها.. فتراجعت غريزياً إلى الوراء حيث اصطدمت قدمها بشيء صلب، أعقبه إحساسها بحرارة شديدة حول ساقيها.

فصاحت، ثوان لا تُعد، ثم سحبت نفسها بقوة عبر الممر.

أمسك غاريك بالجمرة ثم رماها أرضاً وهو يصيح بها.

ـ تعالي من هنا.

وعوضاً عن اقتيادها إلى الداخل حثّ خطاه باتجاه ظليلة متقلة وهناك دفعها إلى الداخل وأقفل الباب. كان في منزل صغير مظلم قليلاً.

ـ هل احترقت؟ هل أصبت بأذى؟.

ردت مضطربة:

ـ يبدو أن الجمرة اقتربت كثيراً من جسدي.. لأنني أحسست بوهجها.

نظر إليها بشراسة:

ـ ما هو جاك نيومن بالنسبة لك؟.

أصابها السؤال بحدة، فرفعت رأسها.

ـ إنه كبيتر تماماً. هو أحد أصحاب الشركة.

ـ لم يرتفع نظرك عنه منذ شاهدته الليلة.

ردت بصوت منخفض.

ـ أنت مخطىء تماماً.

ـ أتطلبين مني أن أكذّب ما رأته عيناي؟.

ـ هذا ما أقوله بالضبط.

أسندت رأسها إلى زجاج النافذة.. والتعاسة تغمرها.. إنها تعرف الآن نتيجة غبائها فلها طعم حرارة رهيبة.. أدارها إليه.

ـ لدي ما أقوله لك. قد يفاجئك قولي وقد لا. كنت في الأسابيع الماضية تحتلين أفكاري.

ردت ببرود:

ـ أنت ترضي غروري، سيد ماكيرتشي.. لكن..

أصبح جزء من فستانها في قبضة يده وجذبها إليه حتى كادت تتذوق طعم عطره.

ـ نادني ثانية باسم العائلة فأخنقك.

ـ غاريت.. أنا...

ثم طأطأت رأسها خافقة القلب، ولكن يده مسحت شعرها ضاد رأسها للارتفاع.

قال هامساً: «حين كنا معاً هايزل.. سامحيني.. لم أحسن التصرف معك... هايزل.. يجب أن نتزوج».

ـ لا حاجة إلى هذا.. لا تقلق علي.

ـ بالطبع هناك حاجة.

أحسّ دون شك بارتجافها، فقد شدها إليه حتى وجدت رأسها على صدره فتمنت لو يعود ذلك الرجل المجنون المحب.. قال أخيراً:

ـ سأتزوجك.

ولكن هذا لم يكن اعلاناً عن الحب.. إنه اعلان رجل يشتهي امرأة ما. ومع ذلك ارتفعت ذراعاها فالتفتا حول صدره تاركة لدموعها العنان.

أبعدها عنه قليلاً وقال بلهجة ناعمة:

ـ يعجبني فستانك.. ويعجبني أكثر منه المرأة التي في داخله...

ـ غاريت.. ماذا عساي أقول..

ـ يجب أن يتم الزفاف في أسرع وقت ممكن الخميس.. موافقة؟.

همست:

ـ أجل.

ـ سأتخلص من التزاماتي جميعها وهذا سيمنحنا أربعة أيام من العطلة.

لم يقل شهر عسل بل عطلة.. ولكنها لم تجرؤ أن تسأل إلى أين سيذهبان، هذا إذا ذهبا إلى مكان أصلاً.. سألته:

ـ ماذا عن مارجي؟.

ـ ماذا عنها.. ستبقى موجودة تزوجتك أم لا.

إذن، في مخططاته، الزواج قد يروح ويجيء ولكن مارجي ستبقى إلى الأبد. ابتلعت ريقها وأجابت: «أفهمك!» التفت إليها.

ـ تفهمين...؟ عجباً!.

* * *

فراشة المحبة

٤ ـ أول الفرحة دمعة

اتصلت هايزل ذلك المساء بأخيها.. كان الوقت متأخراً ولكنها كانت تعرف أنه سيرد ولو كان نائماً.

ـ روبن.. غاريت سيتزوجني.

طال انتظارها ردّه حتى ظنته منزعجاً.. لكنه سأل بذهول:

ـ صحيح؟ متى هايزل؟.

ـ يوم الخميس.. لقد قررنا هذا الليلة في حفل الشواء.. أنت أول من يعرف، لم يقل لأحد حتى لأخته.. يريد الاتصال بوالديه أولاً.. قل لي أتظنني فعلت الصواب؟.

ـ هايزل.. أنت على حق بالطبع. فهو الرجل الذي تحبينه.

طمأنتها كلمات أخيها ولم تعد بحاجة للقلق والخوف، فلتبدأ الآن في التطلع إلى المستقبل، إلى ما يربطها بغاريت.. إلى الحب وقالت:

ـ أريد أن تشاركني وكاترين فرحتي يوم زفافي.. ستكون مناسبة هادئة.

ـ سأحضر على أن لا يطردني رئيسي حين يجدني هناك.

لا بد أن سخرية الموقف صدمته، فانطلق يضحك، مما

جعل هايزل تبتسم وتسترخي:

ـ اتصلت بأبوينا ودعوتهما... أصيبا بالدهشة مثلك.. والسعادة. ولكنهما لن يستطيعا المشاركة فأبي مسافر في عمل وسترافقه أمي. عندما طلبا مني تأجيل الموعد رفضت.

في اليوم التالي، انتظرت هايزل مخابرة لم تتلقها للأسف.. كان اليوم الأحد وقد قالت لنفسها إنه دون شك قادم فثمة أمور عديدة يتباحثانها. في نهاية المطاف وضعت على كتفيها معطفاً سميكاً، وخرجت تتمشى.

حينما عادت تساءلت إلى أين ذهبت سعادتها. بعدما طلب غاريت يدها للزواج أحست بالخفة أما الآن فراحت تتساءل لماذا أحست بذاك الشعور.

في الصباح التالي اقتحمت ساندرا قسم الأبحاث وصاحت:

ـ أين هي؟.

ثم رمت ذراعيها حول عنق هايزل.

ـ أخبار عظيمة! لم أفكر قط في أن لك القدرة على تحطيم دفاعات أخي. صدقاً هايزل، حين رأيتك معه، لم أكن أريد أن تتألمي، ولكنني أرى الآن أنني كنت مخطئة.

ردت مبتسمة:

ـ أنا مسرورة لأنك راضية.

لكن الألم الذي أردت مني تجنبه ربما هو قادم.

سأل جيس:

ـ ماذا يجري.. ما هو الخبر العظيم؟.

رد روبن:

ـ سأشرح لك بطريقة فظة: شقيقتي حظيت برجل فاحفظ لسانك معها من الآن وصاعداً جيس.. لأن الرئيس الكبير سيأخذها.

ـ أي رئيس كبير.. هو؟ هايزل.. قولي إنه ليس هو!.

حذره روبن ثانية وهو يضحك.

ـ كن حذراً.. أخته ستسمعك.

ـ وما خطبه يا جيس؟.

كانت تقصد بسؤالها صرف عدم التصديق من نفس جيس، ولكن كلامها بدا سؤالاً رد عليه:

ـ ما خطبه؟ إنه العدو.. عدونا.. ومن المفروض أن تكوني في معسكرنا.. وها أنت تنضمين إلى معسكره.

ـ آسفة جيس.. فأنا سأتزوجه.

ـ وعندئذٍ سيتلاعب بك.. سيجعلك تتمنين لو أنك لم تولدي. أنت تعرفين ما هي سمعته.

زجرته ساندرا بلطف:

ـ جيس.. إنه أخي.. أعرف أنه قاسي دون رحمة في عمله.. ولكن له طبيعة طيبة.

أصمّ جيس أذنيه عن التعقل ثم أردف:

ـ بالله عليك هايزل.. ألم تجدي أفضل منه؟ هناك عشرات الرجال يتمنون الزواج بفتاة طيبة مثلك. أنا لا أتحدث عن نفسي فقط.

احمرّ وجهه بشدة ثم استدار يائساً:

ـ هذا آخر عهد قسم الأبحاث يا رفاق... فلنوضب

أغراضنا ونرحل.

كشرّت ساندرا عن وجهها:

ـ لشقيقي سمعة رائعة.. أليس كذلك؟ وعائلتنا تظنه ذلك الشاب الرائع.. أتذكرين أنني أخبرتك عن مارجي، هايزل؟

هزت رأسها:

ـ هل أصيبت العائلة بخيبة أمل؟

ـ كنا واثقين من إقدامه على الزواج بها. فوالدي ووالدها صديقين قديمين لقد قدمت له أمي الفتيات، لكن مارجي كانت الوحيدة التي لم يدر لها ظهره.

رن جرس الهاتف، وأحست هايزل بالامتنان لاضطرارها للإجابة لأن الرد على الاتصال سيحول دون أن ترى ساندرا الألم في عينيها.

ـ أراك وقت الغداء...

لوحت هايزل بيدها موافقة وهي ترد:

ـ ساينتفيك برودكتس، قسم الأبحاث.

ـ لدي مخابرة لك.. السيد ماكيرتشي.. من الإدارة.

ارتعشت يد هايزل، فحملت الجهاز لتسير به إلى زاوية تنشد الانفراد وسمعت صوتاً يعطي الأوامر، ولكنه كلام لم يكن موجهاً إليها وعندما أنهى مناقشته على الطرف الآخر قال لها:

ـ هايزل؟ أريد رؤيتك غداً مساءً، سنخرج للعشاء: هل أنت حرة؟

إنه يواعدني.. الصناعي الكبير يحاول حشري حشراً في حياته. إنه سيتزوجني بطريقة نظامية.. ولن يكون حيث هو الآن

لو لم يكن نظامياً.. يرتب حياته، يضع كل الأمور الشرية في مكانها الصحيح، كالمرأة التي التزم بوعد لها.. مثلاً...

سمعته يسأل:

ـ ألن تعطيني رداً؟

ـ أوه.. غاريت أنا آسفة. أجل.. ليس لدي أي شيء.

ليتها تستطيع أن تقول إنها لا تطيق صبراً حتى تراه.

لماذا لم يتصل بالأمس.. إنه ليس ذلك الرجل الذي قال لها وعيناه تلمعان شوقاً: قد أقتل نفسي لو رحلت. أما الآن انقلبت الآية: قد أقتل نفسي لو رحل غاريت.

ـ سأصل في تمام السابعة.. أرتدي الفستان الذي كنت ترتدينه ليلة زفاف ساندرا.

وقت الغذاء، قالت لها ساندرا:

ـ لدي تعليمات من الرئيس الأكبر تفيد أن عليَّ اصطحابك للتسوق ولانتقاء بذلة العرس.. اسمعي لن أقبل أعذاراً.. لدي شيك مفتوح.

ـ لست مفلسة.. أستطيع شراء ما يناسبني.. سيكون حفل الزفاف هادئاً ألم يخبرك غاريت بذلك؟.

ـ سأقول لك شيئاً.. لقد دعا مارجي وأرفض إلا أن تظهري أنق وأفضل منها.

ـ ولكنه حفل زفاف صغير ليس فيه إلا أقرب الأقرباء فقط.

ـ لقد اتصل أهلي بأهلها وأصرّا على حضورها.. إنها جزء من العائلة.. حتى دون تورطها مع.. أعني.. صداقتها مع غاريت.. هل سيأتي والداك؟.

هزت رأسها نفياً.

ـ روبن وخطيبته كاترين قادمان.. حسناً.. سأشتري فستاناً جميلاً.. ولكنني سأدفع ثمنه..

هزت ساندرا رأسها رفضاً:

ـ إنها أوامر الريّس.. فلا تعترضي.

* * *

سألها غاريت وهما في المطعم ينتظران وصول الوجبة:

ـ هل نفذت شقيقتي تعليماتي.

ـ أجل.. اشترينا فستاناً عاجياً ذا أرداف طويلة.. و.. ستراه قريباً.. بعد الغد.. لقد كان سعره باهظاً كهذا الخاتم.. الشكر لك على كليهما.

ـ أنا مسرور لأن ساندرا أصرّت على دفع ثمن الفستان.

ـ شكراً لهذا أيضاً.. ولكنني لست مفلسة، مع أنني ما كنت لأصرف كثيراً لو كنت أنا من سينقد البائع الثمن. فعلى أية حال سيكون الحفل صغيراً هادئاً.. أليس كذلك!.

لم يرد عليها حتى بعدما ترك الساقي طاولتهما.. ماذا كانت تتوقع أن يرد؟ أن يقول لها إنه يحبها بجنون؟.

رفع عينيه فضبطها تنظر إليه. احمرّ وجهها بشدة وقالت:

ـ غاريت.. ما زلت غريباً عني.. ولا أدري ما إذا كان ما نفعله صواباً.

ـ أما زلت تتساءلين عن السرعة في اتمام زواجنا؟ هل هناك

رجل آخر في حياتك هايزل؟.

ـ ليس هناك أحد سواك غاريت أقسم لك.. ولكن الأمر.. حسناً.. ليتني أعرفك أكثر من ذلك.

كانت أخته محقة بشأن قسوته وفقدانه الرحمة.. إنه يضرب عميقاً في النفس.

ـ تتمنين لو تعرفيني أكثر.. هه؟ سأكون متسامحاً الليلة. حبيبتي...

وقفا في منتصف غرفة جلوس شقتها، تتأمله، تتأمل منكبيه العريضتين وجسمه الطويل وعضلاته القوية.

لم تصدق أنها بعد يوم غد ستصبح زوجة هذا الرجل.. ارتسمت نصف ابتسامة على شفتيه.. فودت لو تملك الشجاعة لتلمسه..! وكأنما أحس بما تفكر فيه فقال متسائلاً:

ـ حسناً؟.

ابتسمت تهز رأسها:

ـ أنت طويل جداً بالنسبة لي يجب أن أقف على كرسي صغير لأتمكن من معانقتك.

أطبقت يداه على خصرها، ورفعها حتى أصبح وجهها على مستوى وجهه، فشهقت، تلوح بقدميها إلى الوراء محتجة.. «لا.. لا.. أنا..» فشدها إليه حتى اضطرت للتعلق بعنقه خشية أن تقع. أغمضت عينيها بشدة، تشعر بدوار من شدة قربه منها.

قال لها بنعومة: «أنا أنتظر».

قرّبت ببطء المسافة بينهما، تدرس تفاصيل وجهه، عينيه، ذقنه الذي يدل على الثبات، فمه، ففكرت حالمة، أن هاتين الشفتين الرائعتين، قادرتان على قول كلمات مذهلة..

وقال مازحاً بسخرية:

ـ إنهما حقيقيتان.. هيا.. تحسسيهما بنفسك.

أرجعت رأسها إلى الوراء مبتسمة بجنون، ثم رفعت يداً من خلف رأسه لتمرر اصبعها على طول شفتيه، ثم تعيده.. فاشتد فكه وقال بقسوة.

ـ من كان يعلمك في غيابي؟.

أنزلها إلى الأريكة حيث انضم إليها عندها.

اشتدت ذراعاه حولها وجالت عيناه عليها كما حدث منذ لحظات، بحثاً عن أدق تفاصيل وجهها.. فأحست بالحرارة تسري في جسدها. قال بصوت منخفض:

ـ أنت تعذبيني.. تدفعيني للجنون ليلة بعد ليلة.

إنه لا يتحدث عني بل عن مارجي دون شك عن مارجي، ردّت هامسة:

ـ غاريت.. لقد نسيت الاحساس بقربك هكذا.. لم نمضِ معاً سوى ساعات قليلات لم يكد خلالها الواحد منا يعرف شيئاً عن الآخر.

تمتم:

ـ بدأنا نتعلم.. بسرعة. هذا الفستان هو مزيج من الألوان وهو يلتصق بك التصاقاً ساحراً حتى يكاد يحفر صورته في ذهني إلى الأبد. ولسوف أربطه دائماً مع عيني الفتاة التي كانت تقف

فوق الدرج معلنة رسالة تقول فيها «أريدك.. تعال وخذني».

ـ لم أفعل هذا.. بلى.. لقد فعلت.. ولم أك منجذبة لرجل قط كما أنا منجذبة إليك.

ـ أما زلت منجذبة إليّ؟.

ـ نعم. فكيف لي أن أحس بالشعور ذاته تجاه أي إنسان آخر.

رن جرس الهاتف.. فقال:

ـ اتركيه.

تسللت من بين يديه:

ـ لا.. لا.. قد يكون... أي شخص كان.

التقطت السماعة:

ـ هايزل تتكلم.. اوه هذا أنت..

وقال جاك نيومن:

ـ سمعت الخبر لتوي.. أهنئك على هذا الكسب.

ـ شكراً.. ما ألطف أن...

ـ أتمنى لو يقدّر غاريت جائزته حق قدرها.. إنه رجل محظوظ.. ولكنني بعدما سمعته عنه أرى أنك خسارة فيه.. هل زواجك منه سيحول دون التقائنا ثانية؟.

ـ طبعاً سنلتقي.. سنلتقي في مطعم الموظفين أوقات الغذاء.

ـ ولكنني أفكر في مكان آخر نجد فيه بعض الخلوة.

كان الصمت خلفها يثير توترها فسارعت تقول:

ـ شكراً جاك.. وداعاً.

ثم التفتت إلى غاريت مستعدة للدفاع عن نفسها يرافقه احساس بالانزعاج.

ـ إنه يرسل لنا التهنئة.

ـ سمعته.

إذن سمع أكثر من هذا، وفي هذه الحالة...

ـ إنه رجل تعيس هذه الأيام. هجرته زوجته حاملة معها ابنهما الصغير... الغريب أن الجميع يخبرونني بمتاعبهم..

فركت يديها متوترة وهي تبتسم.. أما هو فوقف يعقد ربطة عنقه قبل أن يدس يديه في جيبي سترته، وقد غدت عيناه ببرود صوته تماماً.

ـ إذن.. لم يكن هناك شخص آخر؟ كنت تنتظرين مكالمته. لا تهزي رأسك، لقد قلت: قد يكون... ثم صمت.. وأتممت الجملة قد يكون أي شخص.

لو قلت له إنني عنيت روبن أو والديَّ، فهل يصدقني؟ بكل تأكيد لا.. أحست بالثلج يتسلل إلى جسدها فلفّت يديها حول نفسها طلباً للدفء.

وقف في الباب.

ـ ستصل سيارتي إلى منزلك يوم الخميس في الحادية عشرة فكوني مستعدة.

ـ غاريت...

ألن نلتقي قبل هذا؟ ولكن أساريره الباردة جمّدت الكلمات في فمها وقالت:

ـ أراك في موعد زفافنا حبيبي.

هز رأسه وخرج.

صباح الخميس في الحادية عشرة تماماً، توقفت رولز بيضاء ضخمة مزيّنة بالشرائط البيضاء.. في هذه اللحظة بالذات رن جرس الباب فوقفت مترددة، كانت قد أمضت الصباح حائرة أتتصل به؟ أرادت الغاء كل شيء، أرادت أن تحله من وعده الزواج بها.

رن جرس الباب مرة أخرى: القرار الآن لها في هذه اللحظة. وقد اتخذته سواء أكان صحيحاً أم خطأ. إنها تحبّ غاريت لذا يجب أن تصبح زوجته، وعليها مواجهة العواقب.

فتحت الباب ترد على الطارق:

ـ أبي.. ! اووه.. ما أروع أن أراك.. ولكن من المفترض أن تكون مسافراً في عمل.

ـ أجّلت السفر.. تبدين جميلة حبيبتي...

دخل شقتها:

ـ اتصل بنا غاريت... ما أروع هذا الشاب وطلب منا حضور مراسم الزفاف. قال إنه سيتصل برب عملي لأنه يعرفه وسيتدبر أمر السفر.. وها أنا هنا.

ـ وأمي أيضاً؟.

وأحست بالغبطة حين هز رأسه إيجاباً.

في مكان عقد القران، رأت أمها ولكن لم يكن لديها وقت لتقول لها: أرجوك أمي، قولي لي، هل أقوم بما هو صواب؟.

ثم شاهدت غاريت يقف هناك، فارتعش قلبها حباً، ولكنه حب تعجز عن البوح به أمامه.

ها هو غاريت الآن على مقربة منها في السيارة المتوجهة إلى مكان الاحتفال باستقبال المهنئين، كان يبدو مبتعداً متحفظاً.. حين وضعت يدها على ذراعه، التفت مبتسماً، ثم سحب عينيه بعيداً.. ترى لماذا تزوجها؟.

أوقف السائق السيارة أمام فندق مهيب، تقف أمامه السيارات بكثرة كأن هناك مؤتمراً عاماً لشركة ما.

ـ غاريت لماذا..

وصمتت.. لماذا اختار مكاناً كهذا لزفاف هادىء.

كانت باحة الفندق مكتظة بالناس ومن بين هذا الحشد رأت روبن يمسك يد كاترين...

قالت امرأة مبتسمة:

ـ هايزل عزيزتي.. أهلاً بك إلى عائلة ماكيرتشي.

ردت عليها:

ـ سيدة ماكيرتشي.. شكراً لك. ولكن أرجوك.. قولي لي ماذا...

صاح السيد ماكيرتشي:

ـ ها هي العروس.. أهلاً بالسيدة ماكيرتشي الجديدة.

ـ عزيزتي..

التفتت هايزل فكادت تقع بين ذراعي أمها.

ـ أتمنى لك كل السعادة يا عزيزتي.. أعجز أنا ووالدك عن التعبير عن غبطتنا...

اضطرت للتوقف حين غالبتها الدموع.

ـ أوه.. أمي.. أمي قولي لي ماذا يحدث هنا... أرجوك.

همست لها أمها:

ـ هناك ما يزيد عن مئتي مدعو معظمهم من معارف غاريت في العمل وبينهم رب عمل والدك، وعماتك وأعمامك وخالاتك وأخوالك. إنه رجل سخي لم يتركنا ندفع بنساً واحداً.

التفتت إليه تسأله:

ـ لماذا يا غاريت؟.

ابتسم وسأل:

ـ ألا تظنين أنك تستحقين هذا كله؟.

خفق قلبها لحظة بسعادة.. لقد قام بهذا كله من أجلها.

لا... صاحت بها همسة صغيرة في مؤخرة تفكيرها.. لا...

ليس لأجلك... بل لأجل مركزه الصناعي الرائد الذي يجتاح الشركات الصغيرة ويبتلعها ممزقاً إياها إلى قطع صغيرة كما يفعل الأسد بفريسته.

امتدت يد إلى أطراف أصابع هايزل، ثم انسلتا وكأنهما لامستا شريطاً كهربائياً. كان الثغر الجميل شاحباً، غير مبتسم، حتى تحرك مرتجفاً ليقول:

ـ غاريت.. حبيبي!.

جعل هايزل الألم والتوبيخ اللذين احتوتهما كلمات مارجي ترتجف...

تمسكت يدان بيضاوان مرتجفتان بيد غاريت تتعلقان به حتى أبعدهما بلطف عنه.. ولم تجرؤ هايزل أن تسترق نظرة إلى وجهه.

* * *

هما الآن وحدهما في السيارة يسيران بعد ما مضت الظهيرة المشمسة. كانت عيناها مغمضتين وفكرها يفكر في ما حدث.. خفت فجأة سرعة السيارة، ولامست إصبع عنقها:

ـ أتبكين هايزل؟

ـ لا.. لا.. كيف أبكي يوم زفافي؟ إلى أين سنذهب غاريت؟.

ـ إلى اسكتلندا.. إلى أين تريدين الذهاب في شهر عسلك اذن؟.

ـ وهل سيكون الفندق فخماً كالفندق الذي كنا فيه.

ـ وماذا تختارين أنت؟.

ـ لو خُيِّرت لاخترت كوخاً صغيراً يتسع لشخصين، كوخاً فيه موقد تقاوم الطقس البارد وستائر تتلاطم في الأيام المشمسة.

ـ لديك صورة مثالية عن حياة الريف الغنية بالأزهار والممرات والأشجار.

كان المساء قد حلَّ حين انعطفت السيارة إلى بوابة حديدية، تجاوزتها وأكملت طريقها على ممر داخلي تحده شجيرات شائكة...

كانت الجبال على مسافة بعيدة مرتفعة بشموخ وعلى مقربة من السيارة سلسلة منخفضة من التلال الخضراء برز أمامها منزل أبيض منبسط.. جعلها تشهق...

ـ سيكلفنا هذا المكان ثروة غاريت.. حتى وإن كانت

إقامتنا لن تتجاوز أربعة أيام.. كم نجمة له.. خمساً؟.

توقف أمام المدخل الرئيسي، وقال وهو يخرج من السيارة:

ـ خمس عشرة، عشرين ربما.. لم أعدها مؤخراً.

جعلها شيء ما في نبرته تتوقف عن الترجل من السيارة.

ـ وهل أقمت في هذا الفندق من قبل مع مارجي يا غاريت؟ أم حضرت فيه مؤتمراً.

فتح الباب ثم حمل حقيبتيهما واقتادها إلى الداخل، فحدقت إلى ما حولها.. ثم سألت:

ـ أين بقية النزلاء؟ وأين مكتب الاستقبال؟ غاريت.. هل هذا منزل ريفي خاص نحن فيه ضيفان خاصان.

خرجت امرأة من باب مفتوح لتقول:

ـ ـ إنه فعلاً منزل خاص عزيزتي.. وأنت فعلاً ضيفة خاصة.. فأنت زوجة غاريت.

صافحت هايزل المرأة التي قالت:

ـ وأنا مسرورة برؤيتك.. أخيراً تزوج غاريت.. ويا لجمال الفتاة التي اختارها!.

ـ هايزل.. هذه خالتي دانيس، شقيقة أمي..

نقلت هايزل بصرها من غاريت إلى وجه المرأة التي كانت تبدو في أوج سعادتها وسألته أخيراً:

ـ غاريت.. لماذا لم تخبرني؟ كم كنت سأطير فرحاً لو عرفت أننا سنقضي شهر عسلنا في منزل خالتك.

ردت دانيس:

ـ اوه.. لا.. إنه ليس منزلي عزيزتي بل منزل غاريت من أين لي المال لشراء مسكن كهذا بل من أين لي المال لأدفع مصاريف صيانته؟.

ـ هذا؟.. كل هذا.. لك غاريت؟.

هز رأسه دون تأثر.. وقالت الخالة:

ـ غاريت شاب وله حظ الشباب، أليس كذلك يا ولدي؟ لماذا لم تحدث عروسك الحلوة عن نفسك؟.

شدته من كتفه إلى الأسفل، ومع ذلك اضطرت للوقوف على أطراف أصابع قدميها لتقبله على خده.

ـ أنا أقيم هنا عزيزتي هايزل وأعتني بالمنزل لأجله.. ولكنني سأرحل بعد قليل لأعيش مع مارينا وزوجها، مع عائلة ابنتي.

تصاعد صوت إطارات السيارات فوق الحصى فصاحت دانيس:

ـ وصلت السيارة التي ستقلني الآن. تركت لكما طعاماً يكفي حتى نهاية الأسبوع.. اعتنِ بها غاريت.. سأراكما قريباً..

ما هي إلا دقائق حتى أصبحا على انفراد وقالت هايزل:

ـ كان بإمكانك أثناء هذا الوقت كله وهذه المسافة كلها أن تخبرني.. فلماذا لم تفعل؟.

ـ ألا يحق للرجل أن يفاجيء زوجته بما يسعدها؟.

ـ أنا آسفة غاريت، إنها أكثر من مفاجأة سعيدة..

ـ أمسرورة لزواجك مني الآن؟..

ـ مسرورة بسبب ثرائك؟ أهذا ما تقصد؟ إنك لا تعرفني حقاً؟.

ـ كانت فترة تعارفنا قصيرة جداً لذا أجيب «لا» لا أعرفك.. ربما احتلت عليّ بسحرك لتوقعيني في فخ الزواج. من يعلم؟.

رفعت يدها إلى عنقها شاحبة الوجه.. كيف لها أن تدافع عن نفسها أمام هذا الاتهام؟.

ردت بصوت ضعيف:

ـ قلت منذ البداية إنك تريد الزواج بي.. فهل كان هذا وليد افتتانك بي؟ هل أنبك ضميرك على مغازلتي، فطلبت مني الزواج؟

أمسك يدها وجرّها نحوه.

ـ أنت هربت مني، وأنهيت بفرارك علاقتنا.

دافعت عن نفسها.

ـ هربت بعد معرفتي هويتك. إن هربي ذاك يجيب عن سؤالك ويؤكد لك أنني ما تزوجتك طمعاً بمالك.

تركها ببطء.

ـ كلانا يعرف لماذا زواجنا.

ـ أنت لا تعرف.. لا تعرف!.

ارتدت عنه غاضبة تغطي وجهها. كيف بدأ هذا كله؟ اجتاحها بؤس شديد فانهمرت دموعها..

إنه يوم زفافها ومع ذلك بدأته بالاجهاش في البكاء.

* * *

فراشة المحبة

٥ ـ أشتاق إليه..

دلكت يدان قويتان كتفي هايزل، ثم أدارتاها وجذبتاها إلى صدر قاس ودافىء:

ـ أخبريني هايزل.. لماذا تزوجتني؟.

أجابت بصوت مخنوق:

ـ لأنني أحبك.

داعبها بصوت ناعم يرفع ذقنها إليه.

ـ إنه سبب وجيه.

وقفت على أطراف أصابعها ثم مدت يديها تجذب كتفيه إلى الأسفل وتضغط رأسه بين ذراعيها بعناق حميم. وحين جاء الرد، لم يكن لديها وقت إلا لشهقة قوية قبل أن تطوقها ذراعه بقوة ظنت معها أن عظامها تكاد تتحطم، فأطلقت صرخة مكتومة طويلة، ثم تركها، فلم تستطع عندئذٍ إلا التمسك به واضعة خدّها على صدره مصغية إلى ضربات قلبه الخافقة كنبضات قلبها وقال لها وفمه على اذنها:

ـ هذا ما يحدث، حين تقول الزوجة لزوجها إنها تحبه.. والآن.. لك أن تري هذا المسكن.. كما تدعوه خالتي.

كانت عيناها تتسعان دهشة كلما فتح باباً جديداً. هناك

غرفة جلوس فيها مقاعد وآرائك حول مدفأة منحوتة وطاولات صغيرة وإنارة رفيعة الذوق.. بعد ذلك انتقلا إلى غرفة أقل رسمية نوافذها واسعة تطل على الحديقة وعلى المروج والأشجار.

ثم انتقلا إلى غرفة طعام أثاثها برّاق فيها غرفة خاصة للفطور الصباحي أما المطبخ فمصمم ليتسع للعائلات الكبيرة كما في العصور الغابرة.

صاحت هايزل متأثرة:

ـ هذا هو الطابق الأرضي فقط، فهل أستطيع رؤية الطابق العلوي؟.

ـ تبدين كطفلة صغيرة أعطيت لعبة جديدة.

اقتادها إلى فوق وهناك فقدت هايزل عدّ غرف النوم.. كان لكل غرفة حمامها الخاص. غرفة النوم الرئيسية، تضم حولها جناحاً من ثلاث غرف، تتداخل فيما بينها. وفي غرفة المطالعة الصغيرة، سرير صغير أشار إليه ممازحاً:

ـ هذا للاستخدام في حال الخصام.

ـ أتمانع غاريت لو أضفت بضع لمسات إلى غرفة نومنا؟.

ـ إلى الأثاث أم إليّ؟.

ابتسمت:

ـ إلى كليكما وخاصة أنت فكما لاحظت أنت قاسٍ كالمسمار..

أمسك يدها ووضعها على صدره:

ـ جربي إن كنت قاسياً إلى هذا الحد.

أحبت ملمسه:

ـ قاس كالجدار الحجري.. ولكن خلف هذا الجدار مضخة آلية قوية.

ضمها بين ذراعيه:

ـ إنه قلب سيدتي.. غلافه صلب ربما ولكنه في الداخل بطراوة الثلج المتساقط وهو لك.

أسندت رأسها إلى ذراعه:

ـ إن الثلج بارد، وبالإمكان تحويله إلى كرة قاسية صلبة.

ـ وبالإمكان تذويبه. ذوبيه هايزل!

ـ أعطني بعضاً من وقتك.

ـ أوه.. غاريت.. أنا...

ـ نحن نتشارك شيئاً ما.. قد يكون الحب.

سمعا صوتاً نسائياً يقاطعهما.

ـ مرحبا يا من هنا.. سيد ماكيرتشي.. هذا أنا.. غويا.. من القرية.

لعن غاريت بصوت منخفض هذه المرأة لأنها قطعت عليهما وئامهما.

أبعد هايزل عنه، ثم تقدم إلى ردهة الدرج.

ـ طلبت خالتك مني زيارتكما سيد ماكيرتشي، لأن هناك طعاماً علي طهوه. لقد أرادت ألا تزعج زوجتك نفسها بالطهي يوم زفافها.. سأعود أدراجي إن لم تكن تريدني سيد ماكيرتشي.

رفع غاريت كتفيه ثم نادى:

ـ هايزل.. هذه غويا التي أرسلتها خالتي للمساعدة غويا.. هذه زوجتي.

ـ مرحبا سيدة ماكيرتشي.. أتمنى لكما السعادة.. والآن هلا أذنتما لي، سأطبخ لكما العشاء.

في غرفة الطعام جذب غاريت هايزل إلى صدره.

ـ شهيتي بحاجة إلى أكثر من طعام لارضائها.. ولكن بما أن هذا مستحيل الآن.. فلنتمشى خارجاً.

ـ هل أفرغ الحقائب فيما بعد؟ ما زلت أشعر أنني لا أتجانس مع هذا كله.. حدث كل شيء بسرعة.. أنا...

ـ أؤكد لك يا امرأة.. أنك المرأة المناسبة لي وسأظهر لك هذا حين تمسّك يداي ثانية.

ـ غاريت.. لا أدري ما أقول..

ـ هس.. لا تقولي شيئاً.. قلت فلنتمشَ.

قدّمت غويا العشاء في غرفة الطعام التي كانت تنيرها الشموع المشعة بنورها الأصفر.. والتفتت هايزل إلى غاريت.

ـ هلاّ أخبرتني شيئاً غاريت؟ هل سنعيش دائماً في مثل هذه الترف وهذه الرسميات؟.

ضحك، ثم تظاهر بأنه يهمس:

ـ لا تخبري زوجتي.. فما هذا إلا للتأثير فيها! بإمكاني أن أكون رسمياً جداً، حين يقتضي الزمان والمكان والظروف في وقت واحد.. ولكن قد يأتي أوان تتناثر فيه الرسميات هباء. خاصة إذا ظهر غاريت الصغير إلى الوجود. هه؟.

ألهذا تزوجني.. لأنجب له ابناً؟.

تلك الليلة وقفت في غرفة النوم تحس ببرود داخلي.. أين ستخلع ملابسها؟ منذ لقائها بغاريت للمرة الأولى كان هناك رغبة وانجذاب وحب جارف، لم تفكر معها جميعها بهذه التفاصيل الصغيرة.. كانت كلها تتآلف لتشكل شعلة واحدة اجتاحتهما معاً، تلهب مشاعرهما، تنسيهما نفسيهما.

ولكن الموقف الآن مختلف تشعر معه بالارتباك.. قد يكون خاتم غاريت في اصبعها.. ولكن أين رغبته، أين حبه وشغفه؟ لقد بقي في الطابق الأسفل، ربما ليمهلها الوقت للتهيؤ للنوم.. ولكنها تحتاجه هنا.. ليساعدها، في التعود على وجوده في حياتها.

استحمت بسرعة ثم ارتدت ثوباً حريرياً وفتشت عن المبذل الحريري المناسب له..

ـ هل أستطيع تقديم المساعدة؟.

كان غاريت واقفاً في الباب فارع الطول ملامحه تُظللها الأنوار الخافتة في الغرفة.

استوت هايزل في انحناءتها، ثم تذكرت أن جزءاً كبيراً من جسمها لا تستره غلالة النوم المحتشمة اللون. فأسرعت تشد الروب مما زاد في إبراز حنايا جسدها..

بداوكأن ارتباكها يسليه! فتقدم في الغرفة لينزع قميصه ثم أبعد ذراعيها عنها وضمها إليه.

ـ لم أرك جميلة كما أراك الآن.

مرّر يده على عنقها وكتفها، فحررت ذراعيها وعقدتهما حول جسمه، تشد وجهها إلى صدره متمتمة:

ـ غاريت... اوه يا غاريت...

لقد تأكدَّ لهاالآن، دون أدنى شك على الاطلاق، أنها تحبه بكل قلبها وروحها وكيانها.

ـ أحبني.. قل إنك تحبني!.

ـ نحن متعبان هايزل.. ومن المستحسن أن تخلدي إلى الراحة فلو بقيت معك الليلة لما استطعت أن أنام ولما تركتك تستخدم والحال هذه الغرفة الأخرى هل توافقينني الرأي؟.

عضت شفتها لتمنع ارتجافها فأردف:

ـ بالله عليك.. لا تنظري إليّ هكذا، وإلا فلن أكون مسؤولاً عن النتائج.

ثم غادر مغلقاً الباب خلفه. بذلت هايزل جهداً كبيراً لتنام ولكن العتمة كانت على جفنيها كالرصاص. الغرفة أصبحت أصغر، الأثاث يهدد بالاطباق عليها. مدت يدها إلى مصباح صغير قرب السرير أضاءته ثم أنزلت قدميها إلى الأرض وارتدت الروب فوق ثياب النوم ثم ركضت إلى الخارج فتطاير القماش خلفها وهي تتطلع يمنة ويسرى.. أيها باب غرفة غاريت؟.

وانفتح باب.. ووقف فيه مقطباً:

ـ ألم تستطيعي النوم؟.

ركضت إليه، ولفت ذراعيها حول عنقه، فجذبها إلى غرفته حيث فراشه على حاله لم يمسّ.. لقد وجد هو أيضاً صعوبة في النوم. ما أن لامسته، حتى أحست به يتصلب ويدفع ذراعيها بعيداً.. فبدت لها المسافة القصيرة بينهما ملايين من الأميال.

لم تتملك نفسها من التساؤل:

ـ لم تزوجتني إذن؟ غاريت.. تلك الليلة في الفندق، عندما عدت إلى غرفتي لما طلبت يدي؟.

ابتعد عنها واستدار يواجهها:

ـ ذلك كان، كما قلت بنفسك، وليد عاطفة عاصفة.. وهي شبيهة كل الشبه بقولك إنك تحبينني.

كيف تقول له إن ما قلته كان الحقيقة وإنني فعلاً أحبك؟ هزت رأسها، من غير المجدي مناقشته مادام لن يصدقها.

ـ أتتهمني بأني قلت لك إنني أحبك لأخدعك حتى تتزوجني؟.

ـ فعلاً.

ـ ولكنني أنا من تركتك أصلاً.. لم أسع إليك متوسلة الزواج بك.. فأين الخداع في هذا؟ كنت في الواقع قد قررت أن أبقي حبي لنفسي.

ـ ولكنك عدت فعدلت عن رأيك حينما قلت إنني سألتزم بوعدي.. أليس كذلك؟ ربما قمت بعملية حسابية رأيت فيها ما ستجنين من المال بزواجي بك فلعبت أوراقك جيداً، وقررت متابعة التظاهر بالتمنع حتى يعود خاتمي إلى اصبعك.

ـ كيف تظن بي هذه الظنون الشنيعة؟.

ـ أتتني هذه الشكوك بعد دراسة كافة وجوه نقاشاتنا.

ـ أتنكر أنني عمدت إلى تذكيرك عن وجوب زواجنا أم لا.. وقد سألتك مراراً إذا كنا نعرف بعضنا بعضاً حقاً.

ـ نعم قلت ذلك لتقنعيني بعد الموافقة على كلامك وذلك حتى أقول إننا سنتعارف أكثر مع مضي الوقت.

أين ذهبت كل تلك المشاعر كلها وتلك الأحاسيس العاصفة وما صحبها من إثارة وأين ذهب ذلك الحب الذي رأته يلمع في عينيه البنيتين؟.

كيف له أن يصرف النظر بازدراء عن الساعات التي أمضياها معاً؟ الساعات التي شعرت خلالها بأنها على أبواب الجنة؟ وسألته:

ـ لنفترض أنني اتصلت بك هذا الصباح لأخبرك رفضي فماذا كنت ستفعل؟.

ـ كنت سألغي كل شيء.

ـ كل شيء.. مراسم الزفاف. حفل الاستقبال؟ كل الضيوف؟.

ـ أنا رجل أعمال قاس في تعاملي تعوزني اللياقة والمشاعر.. فلماذا أقلق بشأن الاتصال بالضيوف لأقول: آسف.. الغيت كل شيء؟.

ـ ما هذا بأمر سهل.

ـ أيكون صعباً مع وجود عدد الموظفين الضخم في شركتي؟ أعيدي التفكير.. فأنا كنت سأعوض عليهم تعبهم. يستطيع المرء بالمال فعل أشياء مدهشة.

ـ حتى التخلص من زوجة لا يريدها؟.

ـ حتى هذا. ولكن هذا ما لا أضعه في ذهني حالياً.. لماذا لم تتصلي بي ما دمت حائرة في أمر علاقتنا؟ أما كنت تظنين أن حفل الزفاف سيكون صغيراً بسيطاً بحيث يكون من السهل الغاؤه؟.

كيف تستطيع أن تشرح له أنها أرادت الزواج به لأنها تحبه؟ حدّقت إليه بعينين تلتهبان ناراً. . وصاحت:

ـ ألم أكن أجري وراء مالك ومركزك؟ إذن لماذا لا تتقبل هذا الواقع؟.

قالت كلماتها تلك ثم هرعت إلى غرفتها.

تأخر الفجر تلك الليلة التي لم يطرق فيها النعاس جفنيها إلا قبيل بزوغ الضوء بقليل وحين استيقظت وجدت أنها مثقلة الجفنين تتساءل أين هي. ثم لما تذكرت تدحرجت على سريرها متأوهة.

كيف لحياتها أن تصبح بائسة خاطئة هكذا؟ ولكن حياة معظم الناس تتألف من البؤس والخطأ. . حسناً. لن أستطيع تغيير الماضي. . إنما لا بد من وجود ما أفعله في المستقبل!.

ألقت نظرة إلى المرآة، أظهرت لها عينين بنيتين براقتين ووجهاً بيضاوياً، وتعابير فاتنة. ساعات القلق والسهر لم تترك أثراً كبيراً كما ظنت. ولكن ما أهمية مظهرها؟ قد أبدو ملكة جمال ومع ذلك لن يرى غاريت فيَّ إلا صورة امرأة جشعة تريد ماله.

عندما راحت تهبط الدرج تنسم إليها رائحة البيض واللحم. يبدو أن غويا قد وصلت، وأن عليها وعلى غاريت أن يكونا مهذبين أمامها. نادت غويا من غرفة المؤونة الملحقة بالمطبخ:

ـ الفطور في غرفة الصباح سيدة ماكيرتشي. . سأحضره لك بعد قليل. . هل تريدين شيئاً خاصاً أم. . . .

ـ سآكل أي شيء يبعث هذه الرائحة الشهية. أنا متأكدة أنه

لذيذ.

كان لغرفة طعام الصباح جو حميم خاص. . والطاولة المستديرة موضوعة قرب المدفأة التي يجمع فيها الفحم الحجري استعداداً للخريف. . .

توقعت وهي جالسة في هذه الغرفة أن يحمل غاريت معه البرد حين يحضر على الرّغم من أن الطقس صيفاً.

بعد قليل دخلت غويا تحمل الطعام وتشير إلى الخارج برأسها.

ـ ذلك هو دوم. . صديقي، الذي يقطع الأعشاب. كان دون عمل فحدّثت السيد ماكيرتشي عنه فقال لي إن العاملين في الحديقة بحاجة لمن يساعدهما. .

وضعت طبق اللحم والنقانق أمام هايزل:

ـ السيد ماكيرتشي رجل رائع. لقد ولد هنا. . وهو يساعد دائماً من هو بحاجة إلى المساعدة. . . كلي ما أمامك سيدة ماكيرتشي. . أنت متعبة، أليس كذلك؟ اوه. . ما كان يجب أن أطرح هذا السؤال!

ثم أسرعت تخرج من الغرفة خجلى.

آثار تلك الساعات التي أمضتها مستيقظة ظاهرة للعيان. في البداية، تساءلت كيف ستتمكن من تناول فطورها. . ولكن حاجتها للطعام دفعتها إلى الإقبال على الأكل. بعد قليل عادت غويا فأطلت برأسها من الباب تسأل ما إذا كانت تريد شيئاً، فهزت هايزل رأسها نفياً وسألت:

ـ هل استفاق السيد. . زوجي؟.

نظرت غويا إليها بريبة، فأدركت هايزل غلطتها:

ـ ألم يذكر لك أين هو في صبيحة اليوم الأول على زفافكما؟ قال إنه سيسبح في المسبح وهو مسبح رائع.. كان عليه اصطحابك معه!.

خارجاً تلاعبت الشمس على بشرة هايزل، فرفعت لها رأسها بامتنان.. ودفء الشمس خفّف من جيشان عواطفها.. وأبعد قلق الليل وتوتره. مع ذلك التفتت إلى الورود و الزهور والأشجار المحدقة بها تسائل نفسها: ماذا.. ماذا سأفعل الآن؟.

هذا ليس عدلاً.. ها هو هناك ينعم بحياته وبحيويته، وأنا ذابلة كوردة تموت.. كانت غرائزها كلما خطت خطوة تحثها على الهرب عوضاً عن المواجهة، ولكن تفكيرها بسخريته التي ستلحق بها جعلتها تستمر وتهيىء نفسها لمواجهته.. نظر إليها بعينين ضيقتين:

ـ ماذا حدث؟.

ـ لم أستطع النوم وأنا أفكر في طريقة للخلاص من الموقف!.

ـ اهربي إذن.. عندما رأيتك في المرة الأولى هربتِ ويبدو أنك لم تفعلي منذ ذاك الحين إلا الهرب. لماذا تريدين ايجاد طريقة للخلاص؟ .

أشارت بيدها إليهما معاً.

ـ أليس زواجنا ورطة؟ تزوجتني في حين أنك لا تريدني..

وأنا ارتبطت بك.. لأنني.. مع أنني....

ـ مع أن بامكانك الزواج بمن هو من مستواك؟ بمن يتكلم لغتك بمن يقول لك دون توقف «أحبك» أليس كذلك؟.

ـ فكّر كما تريد.

ـ ثمة طريقة.

تناول المنشفة ليجفف جسمه فأشاحت بوجهها عنه والحب يستحوذ على أطرافها.. فابتسم، وكأنه يقرأ ما يدور في خلدها ومد يده بالمنشفة:

ـ جففي ظهري إن سمحت.

احمرّ وجهها، ونظرت إلى المنزل.

ـ غاريت سيرانا الناس...

ـ لا أحد هنا غير غويا.. فامنحيها ما تلوكه بلسانها حين تعود إلى القرية. يود أهلها معرفة طريقة تصرف غاريت ماكيرتشي وعروسه في شهر عسلهما... سيخيب أملهم لشيء واحد فقط وهو أننا لم نبق طويلاً في الفراش.

رمى المنشفة إليها فتناولتها باستحياء، وراحت تجفف له ظهره وكتفيه. ثم وقفت أمامه ونظرت إلى وجهه فإذا عليه بسمة رضى. رمت المنشفة ثم هرعت نحو خميلة من الأشجار الكثيفة ولم تمضِ لحظات حتى كان خلفها يمد يديه ليلتقطها وذلك عندما راحت تقع ولكنها ظلت تتهاوى حتى وقعت أرضاً وكان أن وقع هو أيضاً تحت ظل شجيرات شائكة وصاحت:

ـ لا.. لا يا غاريت.

ابتسم في وجهها العابس.

ـ لا يا غاريت.. ماذا؟ يا إلهي يا امرأة.. إنه شهر عسلنا.. ألا يحق لي أن أعانق زوجتي؟

أتى عناقه عنيفاً لا يخلو من الشغف والشوق.

ـ يجب أن نتكلم هايزل.. سأصطحبك لتري الريف وعندها نعمد إلى مناقشة أمر مستقبلنا. فلا بد من وجود حل لمشكلتنا.

نظرت إليه حائرة.. لقد أدار زر الحب، ثم أطفأه.. وكأنه يشغّل آلة.. فهل استخدم هذه الآلة ذاتها يوم التقاها.. أدار زرّ التشغيل فظهر الحب.. وظهر الهيام.. وحين انتهى، أطفأها من جديد؟

* * *

٦ ـ المرأة الأخرى

حينما كان يتوجهان إلى جبال اسكتلندا. بدت المرتفعات مكللة بالأشجار والاخضرار ولكن هذا الاخضرار لم يلبث أن أصبح باهتاً وذلك حين توارت الشمس خلف السحب تظلل خضرة الأرض والوادي المترامية حقوله.

الطريق إلى الجبال العالية، التي كانت تشاهدها من المنزل بعيدة.. ما هي إلا مسافة قصيرة حتى أصبحا فيما بينها. كان على كلا الجانبين قمم تشبه الهامات الشامخة بكبرياء إلى العلاء...

صاحت هايزل حينما شاهدت بعيداً بقعاً صغيرة حمراء وصفراء وزرقاء: «انظر هناك».

ـ إنهم متسلقوا الجبال...

ـ ألن يقعوا.. إنه جدار أضخم من الصخور.

ضحك غاريت:

ـ ألا تشاهدين الحبال؟ إنهم آمنون وربما تسلق معظمهم هذه القمم عشرات المرات من قبل... إنهم الآن يتسلقون أعلى قمة وهي تزيد عن الألف متر ارتفاعاً.. وهناك قطار كهربائي معلق يفضي إلى القمة. سأصحبك إليه يوماً.

وعد ثمين، رغبت في الإمساك به كما يمسك المرء فراشة نادرة، فكلمة يوماً ما تعني أن لعلاقتهما مستقبلاً.. ولكن الناس عادة يقدمون وعوداً كهذه للأطفال ليهدئوا روعهم.

توقف غاريت في فسحة تشبه خليجاً بين الجبال، وأشار إلى طريق مشاة وعرة تفضي إلى بحيرة بعيدة:

ـ نحن متوجهان إلى هناك.. لدينا طعام أعدته غويا في صندوق السيارة مرفقاً بأحلى أمانيها. موافقة؟.

مد يده خلف رأسها، فألقته على ذراعه.

ـ أكثر من موافقة.

لم تستطع إخفاء السعادة من عينيها.. فتساءلت لماذا لا يكون الأمر هكذا بينهما دائماً؟ وخرجت من السيارة..

هبطا تلة تشرف على مجموعة من البيوت والمزارع.. وهناك في المدى البعيد القريب، كانت البحيرة تلمع تحت أشعة الشمس، تحيط بها التلال من كل جانب...

وضعت هايزل ذراعيها حول صدرها إجلالاً لمنظر هذه البحيرة التي امتزج مع سعادتها بوجودها مع الرجل الذي تحب.

بعدما تناولا الطعام وبعدما رتبا الأواني في السلة من جديد، استلقى غاريت ماداً ساقيه أمامه يحدق إلى الجانب الظليل المعتم من التلة في الجانب الآخر من الوادي.. وقالت له:

ـ أعتقد.. أنك تعرف كل إنش في هذه المنطقة.

ـ هذا مؤكد..! لقد ولدت وترعرعت على هذه الأرض.

ـ أخبرتني غويا بذلك كما أخبرتني أنك تساعد كل من

يحتاج إلى مساعدة.

ـ وهل حسنت تلك المعلومة الصغيرة رأيك بشخصيتي الرهيبة؟.

ـ لم أشك يوماً في أنك رجل شريف.

ـ يسرني أنك أدركت هذا.

ـ تلك الليلة ـ أعطيتني الخيار ثم بعد ذلك عرضت علي الزواج.

ابتسم وأحنى رأسه ساخراً، فأردفت.

ـ ولكن هذا كان على المستوى الشخصي. لذا لن أستطيع أن أحكم عليك إلا من خلال ما سمعته عنك.

ـ وهل تصدقين ما تسمعينه؟ ألهذا فررت مني مذعورة كأرنب هاربة من الثعلب؟

ـ هناك قول مأثور: لا دخان بلا نار! وثمة أدلة. لصديق أخي روبن زوجة وثلاثة أولاد وقد حدث أن طردته.. اسمه رايفن وايتمور.

ـ وايتمور؟.. لقد قبل وظيفة في أدنبرة في أحد فروعنا.. إلى أي حد تبلغ صداقته مع أخيك؟.

ـ قال روبن إنه فقد الاتصال به.. وهناك تلك السكرتيرة المتزوجة من رجل مقعد، حينما ترك رئيسها العمل عندكم..

ـ طردتها؟.. هذا غير صحيح، فقد رفضت كل العروض البديلة التي قدمناها لها، واستقالت. كانت تريد وظيفة يكون موقع العمل فيها قرب منزلها. هل هناك اتهامات أخرى زائفة أصححها لك؟.. لا؟ ما رأيك إذن باعتذار على اتهاماتك؟.

نظرت إليه بسعادة:

ـ آسفة جداً.. ولكنني مسرور لسماعي الحقيقة. حسناً إنما هناك شائعة أخرى.. يقال إنك ستستغني عن قسم الأبحاث في ساينتفيك برودكتس.. فهل هذه الشائعة صحيحة غاريت؟ الموظفون جميعهم قلقون.. ومنهم أخي وكاترين وهما مقبلان على الزواج لكنهما لن يتمكنا من الزواج إذا فقدا وظيفتهما.

جلس فجأة، فأحست بنفسها تبتعد عنه، وقال بصوت فيه خطورة:

ـ إلى ماذا تسعين الآن؟ بعض المحاباة من جانبي؟.

ـ لا.. لا.. الفكرة لم تخطر على بالي!؟.

تجاهل انكارها المذعور وأمسك ذقنها يدير وجهها إليه بحدة.

ـ هل تحاولين الاستفادة من مركزك..؟ لم يمض على زواجك بي يوم واحد وها أنت تشرعين بممارسة الضغوط عليَّ للحصول على معاملة خاصة لأقربائك!.

أمسك بكتفيها وجذبها إلى الأمام يلف ذراعيه حولها بشدة جعلتها تئن من الألم:

ـ أنت تؤلمني.. كيف تستطيع إيلامي! ولكن هذا جزء من طبيعتك، أليس كذلك.؟ اوه...

ومع ذلك أحست بيديها ترتفعان إلى رأسه تشدانه إليها وكأنها لا تريد أن يتركها. ولكن حين تركها، تمدد وجذبها إلى جانبه قائلاً:

ـ هذا هو الحل لورطتنا.

سألت كأنها تحلم.

ـ ما هو غاريت؟.

ـ ألاَّ ندّعي أو نتظاهر بالحب.. بل أن نكون صادقين مع أنفسنا معترفين بالمتعة التي يبعثها أحدنا إلى الآخر وأن نعيش تحت سقف واحد دون مطالب عاطفية.

ـ جسدية فقط؟.

ـ بل زوجية.. لا تخافي من استخدام هذه الكلمة.

عادا بعد الظهر باكراً، فأوقف غاريت السيارة قرب باب المنزل، ثم أمسك يد هايزل بنعومة:

ـ هل قبلت اقتراحي لحل مشكلتنا.. هه؟.

رفع يدها إلى شفتيه يقبل أطراف أصابعها.. فابتسمت له بإثارة:

ـ التعايش دون عاطفة؟.

ـ بالضبط. وسأوفر لك ما تحتاجين إليه في العالم فيما توفرين لي...

ـ المعاشرة الزوجية..

أغضبتها الفكرة.. إنما.. ما البديل؟ حياة فارغة.. فالحياة بلا غاريت ستكون فارغة دون ريب.. أجابت: «نعم ولكن...».

ـ لكن ماذا؟.

ـ هذا ما لن ينسجم مع مزاجي..

ثم هربت من السيارة ركضاً..

عندما وصلت إلى غرفتها تمددت تحاول الإغفاء قليلاً قبل

العشاء ولكن النوم جافاها وراحت الأفكار تؤرجحها وتؤرجحها حتى غفت دون أن تدري.

أيقظتها أصوات فجأة فهبت من منامها مذعورة تتساءل عن الوقت وفوجئت بأن المساء قد أسدل سدوله. ترى هل بحث غاريت عنها؟ دفعها هدير سيارة إلى النافذة ولكنها تأخرت عن رؤية الزائر.

اغتسلت، وغيرت ملابسها، ثم نزلت.. لقد تأخرت دون أدنى شك على موعد الشاي.

ولكن هناك من يتحدث في غرفة الجلوس، وصوته مرتفع وحاد يسأل:

ـ لماذا تزوجتها؟ كنت موجودة أمامك حبيبي! كنت تستطيع الحصول عليّ متى شئت، بزواج وبغير زواج.. تعرف ما كان بيننا في الأيام القديمة.. وكان لعلاقتنا أن تتجدّد..

تعالى النحيب والبكاء ثم أكملت صاحبة الصوت:

ـ أحبك.. وهذا ما تعرفه جيداً... قلت لي إنك تريد زوجة قادرة على تحمل أعباء عملك ونظام حياتك.. حسناً... كنت سأتخلى عن التمثيل في سبيل أن أكون معك حيثما حللت.

مزّق نحيب آخر كلمات المتحدثة فتساءلت هايزل إن كان هذا أعظم دور قامت بتمثيله هذه المرأة؟.

سمعت صوت غاريت دافئاً مداعباً.

ـ هس.. مارجي.. لابأس.. توقعت عائلتانا إعلان الخطوبة، ولكنني لم أشك يوماً أنك...

قاطعته شاهقة:

ـ كنت أنتظر أن تطلب.. مني أنا الزواج.. لا منها...

حرّكت هايزل مقبض الباب فانفتح دون أن يحدث أقل صرير كان الشعر الأسود الفحمي يجري بين أصابع غاريت بكل فخامة فيما الوجه الأحمر الجميل يرتفع إليه مرتجفة شفتاه ترقباً لاقترابه.

تراجعت هايزل بخفة القطة، لتركض إلى غرفتها، حيث رمت حفنة من الأغراض الشخصية والملابس في حقيبة، ثم تسللت إلى الأسفل ثانية. إذا كان يريد مارجي فليأخذها. كان الغضب واليأس يحرقانها وهي تفكر في أنه قادر على أخذها. ولكن، أما كان يجب عليّ أن أعرف هذا؟ ألم يخبرني بأن مارجي ستبقى دائماً هناك؟.

حين وصلت إلى الردهة سمعته يقول:

ـ اسمعي حبيبتي.. لقد تزوجتها...

ابتعدت بسرعة لئلا تسمع كلمة أخرى...

حبيبتي.. لقد ناداها حبيبتي.. متى وجّه لها مثل هذا التدليل؟.

دفعت باب المطبخ تفتش يائسة عن غويا:

ـ مساء الخير سيدة ماكيرتشي.. هل أستطيع تقديم شيء ما لك؟.

ثم لاحظت الألم على وجهها والحقيبة في يدها، فصاحت:

ـ ما الخطب؟.

هزت هايزل رأسها محاولة السيطرة على صوتها.. أشارت

برأسها إلى الخلف وسحبت نفساً للتكلم ولكنها لم تستطع..
فسألتها غويا:

ـ إنها الآنسة مارجي.. أليس كذلك؟ قلت لدوم حينما رأيتها إن المرأة جاءت لتثير المتاعب.. تريد أن تتزوجه.. ولكنها لن تستطيع ذلك الآن.

دفعت هايزل الكلمات دفعاً:

ـ فلتأخذ.. فلتأخذه... إنه.. إنه.. لا يريدني. وما أرادني يوماً غويا..

مسحت دموعها بظاهر يدها، ثم نظرت إلى الخارج:

ـ أليس ذلك الرجل دوم؟ هل له أن يقلني.. أرجوك.. إلى أقرب محطة.

ـ وماذا عن السيد ماكيرتشي؟.. لا يمكنك ترك زوجك خاصة في شهر العسل؟.

ـ عليه أن يقرر من يريد.. فإن أرادني فليسع إلي.. وإن أرادها...

سوّت وقفتها ثم قالت.

ـ فليكن له ذلك.. لذا أرجوك اطلبي من دوم أن يوصلني.

فيما هي منتظرة سيارة دوم رأت غويا تهز رأسها بحزن.. فقالت متوسلة:

ـ أرجوك غويا لا تخبري أحداً شيئاً عن هروبي حتى عائلتك وذلك حتى يختار من يريد منا.

اختنقت الكلمات في حلقها.

عندما بدأت السيارة بالانطلاق سألت غويا:

ـ ماذا سأقول للسيد ماكيرتشي إن سألني إلى أين توجهت؟.

نادت هايزل من النافذة:

ـ قولي له إن الزواج الناجح بحاجة إلى اثنين يعملان على إنجاحه لا إلى ثلاثة.

وادارت وجهها بأسى عن منزل غاريت الأبيض الجميل.

* * *

فراشة المحبة

٧ ـ سأبقى دائماً في انتظارك

أحست هايزل بسعادة لا توصف لأنها لم تتخلى عن شقتها، فقبل زواجها لم تجد الوقت لإعلام المالك برحيلها.

مر بها اليوم ثقيلاً حتى كادت أُذناها فيه تصابان بالصمم من الصمت والسكون.. كانت تترقب رنين الهاتف.. حتى اختلقت أذناها رنيناً تعويضاً عن غياب الرنين الحقيقي.

إنه الاثنين وقد عاد فيه كل شيء تقريباً إلى طبيعته.. ولكنها تعرف أن الأمور لن تعود كما كانت أبداً.. ألم يتغير اسمها مثلاً؟ هايزل ماكيرتشي.. كررت الكلمات مراراً ومراراً حتى أوشكت على الصياح بها عالياً. ولكنها لم تعد الآن زوجة غاريت ماكيرتشي، إلا على الورق.

عندما دخلت إلى المكتب الذي يشغله أخوها قالت له:

ـ روبن.. ألديك بضع دقائق للتحدث؟.

ابتسم لها.. ثم قطب جبينه:

ـ طبعاً.. ماذا حدث لشهر العسل؟.

ـ لقد عرفت إذن.. اوه روبن..

ارتدّت عنه تربت خدّها بيدها.. فصمت منتظراً كما يجدر

بالأخ.. نعم لم يتحرك لمؤاساتها، ولكنها كانت تحس عاطفه:

ـ لقد تركته روبن.. إنه.. إنه لا يحبني. وما أحبني يوماً.

ـ أتمزحين؟.

ـ تصورت أنه يحبني ولكنني وجدت أن له امرأة أخرى يريدها اسمها مارجي مورثون.. ابنة أصدقاء للعائلة. كان الجميع يتوقع أن يتزوجها.

ـ ألم أسمع هذا الاسم.. أليست ممثلة صاعدة؟.

ـ لا أدري إن كانت ممثلة سينمائية أو مسرحية.. ألن تهمني بالحماقة لأنني تركته دون أن أمنح زواجنا فرصة.

ـ أنت في عمر ناضج يخولك معرفة الصواب من الخطأ ولكنك منذ الصغر وأنت تهربين من الحياة فحينما كانت تسوء الأمور معك كنت تفرين كأرنب مذعور إلى جحرك حتى تصلح الدنيا نفسها.

ـ إنه رد فعل غريزي لوقاية النفس.. أنت لا تلومني اذن! أشكرك على هذا.

ربت شعرها مبتسماً ابتسامة الأخ الأكبر:

ـ لن يعجب تصرفك أهلنا.. حسناً.. لن أقول لهما.. بل عليك أنت أن تخبرينهما. سيظل الموضوع سراً بيننا حتى تقررين العكس.

توقعت طوال النهار من سكرتيرة الادارة أن تتصل حاملة معها رسالة غاضبة للآنسة براون يُطلب فيها التوجه إلى مكتب المدير العام.

ولكن هذا لم يحدث بل وبدأ يرسخ في تفكيرها أن كل شيء قد انتهى فعلاً.

عندما كانت تغادر المكتب متوجهة إلى شقتها، كادت تصطدم أمام زاوية المبنى برجل جعلها تذعر وتشحب لأنها تتصور غاريت في كل مكان.. فلو ظلت على هذه الحال احتاجت إلى سنين حتى تتقبل غيابه عن سماء حياتها.

ـ هايزل.. كيف تسير الأمور معك؟.

كان الرجل الذي اصطدمت به هو جاك نيومن.

ـ ليست سيئة.

لاحظت حيرته من هذا الرد:

ـ هذا فتور ظاهر بالنسبة لعروس لم يمض على زواجها إلا... أربعة أيام.

منعته تعابير وجهها من تكرار السؤال.. فسألته هي:

ـ وأنت؟.

كشرّ وهز رأسه.

ـ ما زلت أجهل مكان زوجتي علماً أنني استلمت رسالة من محاميها تقول فيها إنها لن تعيد لي ابننا تحت أي ظروف.

أثرّ فيها حزنه:

ـ يؤسفني ما أسمع.

ـ اسمعي.. أعلم أنك متزوجة الآن.. ولكن، ألا يمكننا التواعد لنفضي ما في نفوسنا. أحس بالوحدة.. والاكتئاب في منزلي الذي لا أفكر وأنا فيه وحدي إلا بما أصاب زواجي.

فكرت بحزن تهز رأسها: هذا يجعلنا اثنين.

ـ نتناول القهوة معاً يوماً جاك.. أراك فيما بعد.

ـ أتتوجهين إلى المنزل.. سأرافقك حتى السيارة.

توجها معاً حتى مدخل موقف السيارات وسألها:

ـ هل تمتعت بشهر العسل؟

ـ نعم تمتعت.

ـ أعتقد أنك ستحتاجين إلى بعض الوقت للاعتياد على محيطك الجديد؟.

ـ أجل.. لكن...

انحبست باقي المفردات في حلقها.. ففي موقف السيارات رجل يقفل باب سيارة سوداء كبيرة، عيناه ترسلان إليها شعاعاً كاللايزر مركز عليها حتى يكاد يثقب قلبها.

سألها جاك:

ـ أمعك المفاتيح؟ أعطني إياها لأفتح لك باب سيارتك.

تبدين كالحالمة. وهذا ليس غريب بعد بضعة أيام من الزواج.

تحرك جاك فأصبح في طريق تلك العينين. أتحرقه أشعتهما يا ترى؟ صعدت بسرعة إلى السيارة ثم رفعت يدها تودع جاك قبل أن تنطلق وهي تحس بالامتنان لأن الطريق إلى الخارج لا يمر بالمكان الذي يقف فيه ذلك الرجل.

اتصلت ساندرا بها ذلك المساء:

ـ هايزل.. أخبريني بحق السماء ما الذي يجري بينك وبين أخي؟.

ـ كيف عرفت أنني هنا؟.

ـ اتصلت بغاريت في منزله وطلبت التحدث إليك فقال إنه

لا يعرف أين أنت ثم أردف قائلاً إنك هربت إلى جحرك كالفأرة. بدا لي غاضباً هايزل.. لم أره قط على هذه الدرجة من الغضب. أخبريني.. لماذا؟.

ـ هناك أسباب عديدة، سأطلعك عليها يوماً ولكن اعلمي أن زواجنا لن ينجح وهو في الواقع قد بدأ يسوء حتى قبل أن سمعته يتحدث إلى مارجي التي زارته في المنزل و...

ـ رمت نفسها عليه.

ـ فوقع في الفخ ساندرا.. لقد سبق أن أخبرتني أن الجميع كان يتوقع أن يعلنا خطوبتهما.

ـ ولكنه لم يعلنها بل تزوجك أنت.

ـ حسناً سأخبرك.. ليلة زفافك طلب مني الزواج ولكن حينما عرفت هويته هربت.. وعندما التقينا ثانية طلب يدي من جديد ولعله كان يخشى أن أسيء إلى سمعته أمام أقربائه بطريقة ما أما الآن فهو يشك أن هناك علاقة بيني وبين جاك و... لقد رآني أحدثه اليوم.

ـ يا إلهي.. ولكن أما كان عليك منح زواجكما فرصة؟.

ـ يستحيل ذلك بوجود حبيبة تبكي على كتفه وتلوّح له..؟ لقد رأيته وهو يطمئنها بقوله: لابأس عليك فما هي إلا زوجتي.. أما أنت فالمرأة التي أحبها حقاً.. أترين ساندرا، ستبقى مارجي حبيبته تزوجها أم لم يتزوجها. هل فهمت الآن ساندرا؟.. هل فهمت الآن؟ لم يكن ينقصه إلا أن يقول لي بصراحة انه على الرّغم من زواجنا ما زال يحتفظ بحقه في إبقاء

مارجي عشيقته.

ردت ساندرا ببطء:

ـ ربما بدأت أفهم...

ـ أتعرفين أنه لم يحاول حتى الاتصال بي منذ تركته في سكتلندة يوم الجمعة.. لو أراد عودتي، لاتصل، على الأقل للاطمئنان عليّ إن كنت قد وصلت إلى الشقة سالمة؟.

ـ لكل رجل كبرياؤه.. أنا لا أبرر عمله، فلو تركت ويلي، ولم يسع ورائي لاستعادتي، لغضبت غضباً شديداً. اعترف بهذا.. حسناً، سأبقى على اتصال معك.

حين أنهت وجبة العشاء حملت الصينية إلى المطبخ، ولكن رنين جرس الباب سمّرها في مكانها فأسرعت ترد على الهاتف الداخلي قائلة:

ـ جاك..؟.

ومن قد يكون سواه؟ شعرت بأنها لا تريد أن تصغي إلى مشاكله ليس على الأقل قبل أن تحل مشاكلها ومع ذلك فتحت الباب إنما على مضض.

ـ أنا آسفة فأنا..

ولكن الكلمات علقت في حنجرتها، فرفعت يدها إلى عنقها تحس بالألم.. آه يا لغبائها: فجاك يعرف أنها متزوجة وهذا يعني أنه لا يتوقع أن تسكن هنا.

عندما حاولت إعادة السلسلة إلى قفل الباب كانت قد تأخرت فالزائر دخل قبل أن تتمكن من إقفال الباب.

ـ آسفة على ماذا؟ على عدم ارتدائك ما يليق به أم يجب

علي أن أقول إنك ترتدين الكثير؟ اعتقدت أنك أحضرته معك إلى هنا. ولكن يبدو أنك امتنعت عن ذلك عندما رأيتني أراقبك. ماذا همست له: الليلة.. السابعة والنصف؟...

ـ آسفة غاريت.. لا يمكنك الدخول إلى هنا.. لقد انتهى الأمر بيننا.. تركتك و...

نحاها جانباً ودخل ليطفىء جهاز التلفزيون ثم رفع يديه إلى شعره.

ـ لا يمكنك البقاء هنا.

ـ إن حضر، لابأس عليك ادخليه فأنا متساهل وزواجنا لا يمنع علاقة أو علاقتين جانبيتين... على ألا تكون في منزلك، أو الشركة التي تعملين فيها، وعلى ألا يحضر عشيقك حين أطلب خدماتك.

امتقع وجهها من هذه الإهانة:

ـ لقد انتهى ما بيننا.. أتسمع؟ ألن تخرج من هنا؟ أنت لا تريدني.. ولك أن تحمل معك هذين أيضاً.

حاولت خلع الخاتمين من يدها، ولكنهما لم يتحركا فأخذت تصيح يائسة.

ـ أسباب زواجنا جميعها باطلة الآن.

ابتسم ساخراً:

ـ من المؤسف اذن أنك تزوجتني.

حدقت إليه، فإذا بسترته تلحق برباط عنقه إلى المقعد.. بعد ذلك جلس على الأريكة حيث أسند رأسه إلى ظهرها... وقال ببرود:

ـ لو عرضت علي القهوة أو الشاي، لما رفضت.

ـ ربما القهوة والشاي اللتين اشتريهما لا يعجبان ذوقك الرفيع.

ـ جربيني.

صبت فنجاناً من القهوة الجاهزة:

ـ تذوق هذه واسخر منها اذن.

رفع الفنجان نحو الضوء يمعن النظر بلونه قبل أن يشمّ رائحته بعد ذلك احتسى قليلاً، قال:

ـ تذوقت أسوأ من هذا في أمكنة تحمل أسماء لامعة.. اسكبي لي المزيد ثم انضمي إلي.

صبت فنجانين من القهوة وجلست على الأريكة بعدما شغلت جهاز التلفزيون.. كان يراقب تحركاتها المرتبكة كأسد يعلم أن الفأر الذي أمامه هو تحت رحمته مباشرة.. ثم سأل:

ـ متى سيأتي؟ بعد خمس دقائق؟ نصف ساعة؟ ألهذا أنت متوترة؟.

ردت عليه رغم توترها.

ـ إن كنت تشير إلى جاك نيومن فهو غير قادم. كنت أريد قضاء أمسية هادئة، إذا كان يجب أن تعرف.

بل أمسية فارغة قاحلة كصحراء كبيرة وها أنت تذهب الآن لتحولها إلى غابة لن أستطيع أن أجد طريقي فيها...

ارتشف قليلاً من القهوة ثم قال: «يعجبني ثوبك».

ـ إنه عندي منذ سنوات.. وهذا يبرهن أنني لا أنتظر أحداً.

ـ لا تتعبي نفسك بشرح أن حياتك بريئة بعد هجرك الرجل

الذي تزوجته. لقد شاهدتك مع الرجل الذي هربت من أجله.. ورأيتك معه قبل الزواج.. في حفل الشواء. هل تزوجتني بعد ما عجزت عن الزواج به لأنه متزوج؟

ـ هجرته زوجته حتى قبل زواجي بك. فماذا يثبت لك ذلك؟ لو كنت أريده لاستغليت هذه الفرصة وحللت محلها. اسمع غاريت.. لماذا أتيت إلى هنا؟.

ـ لأرى زوجتي.. لأنعش ذاكرتي برؤيتها مبتسمة..

ـ أنا لا أبتسم الآن.

تجاهل كلامها وتابع:

ـ ولأرى ما تبدو عليه في غلالة النوم.. لقد مضى زمن طويل...

ـ أريد منك أن ترحل.. أريد منك أن ترحل غاريت!

شاهد جريدة ملقاه على الأرض فالتقطها متصفحاً أوراقها.. فصرّت على أسنانها، والذعر يتملك بقلبها.

ـ هلا غادرت منزلي؟.

أمسكت كتفيه وهزته.. فتلاشى كل أثر للصبر عن وجهه، فرمى الجريدة وأمسك خصرها بأصابع تشبه المخالب في قسوتها ثم رماها على الأريكة يمسك معصميها ويرفعهما فوق رأسها.

قال بحنق وغيظ شديدين:

ـ لقد تحملت منك كثيراً.. تصرفت معك بأخلاق فإذا بك ترمين كل ما قدمته في وجهي.. عليك أن تعترفي أنك أوقعتني في فخ الزواج بادعائك الرقة والحزن والهيام بي.

قاطعته بفزع:

ـ اوه.. لا غاريت.. صدقني.. لم أفعل هذا!.

شد يديها إلى الأعلى يبعدهما أكثر عن جسدها، متجاهلاً احتجاجها.

ـ ولماذا أصدق كلمة مما تقولين؟ لقد وافقت على الحل الذي اقترحته عليك تلك الليلة ثم لذت بالفرار ما إن أدرت لك ظهري.

كانت عيناها تدمعان من الألم الذي يسببه لها، جسدياً وعاطفياً.

ـ تركتك لأنك كنت تطارح تلك المرأة التي تريدها، الغرام. كانت تتملقك وتداهنك، وكنت تتلقى كل هذا بذراعين مفتوحتين.. إياك أن تنكر.. أنت لا تحبني، بل تحبها. اعترف بهذا!.

صرّ على أسنانه بشدة مضاعفة ثم قال ساخراً:

ـ لا أعترف إلا بشيء واحد وهو أنني أريدك، جسداً وروحاً، وهذا هو يا حبي، سبب وجودي هنا..

ـ لا.. لا.. لا يمكنك.. لا تستطيع...

ـ وهل هناك ما يمنعني؟.

همست: «لا بالطبع لا».

هز رأسه ثم تركها.. فأحست بفراغ مفاجيء وخيبة أمل. كانت ابتسامته تقول إنه يعرف ما تحس به، وإنه يلتذ بمراقبتها...

التقط الصحيفة عن الأرض وعاد إلى الجلوس يقرأها وكأنه صرف عنها النظر.. فأخذ عقلها يتساءل: ماذا سأفعل معه؟ متى

سيذهب؟.

بعد مدة وجيزة أخفض الصحيفة وأشار إلى التلفزيون: «ما هو هذا الفيلم؟».

ـ لا أدري.

جعله ردها يبتسم، فقد كشف عن حالتها الذهنية المشتتة.

ووقف، ثم نظر إلى المطبخ، فغرفة النوم، ولم يقل شيئاً.

ـ إذن لن تمانعي لو أطفأته.. ألا تحبين الموسيقى؟.

تابع تجوله، فأجابت:

ـ أحبها.

ـ أين جهاز التسجيل؟.

ـ إنه من الكماليات التي لم أستطع يوماً شراءه.. نعم لا أنكر قدرتي على شراء أنواع رخيصة ولكنها كانت تسيء إلى أذني المرهفتين.

جعله انزعاجها يبتسم:

ـ سأتذكر هذا.. تعالي إذا شئت إلى منزلي ومتعي سمعيك المرهفين بالموسيقى المنبثقة من جهازي الذي هو من أفضل الماركات، من أفضل ما يمكن للمال شراؤه.

كان لدعوته مضامين حساسة جعلت وجنتيها تتضرجان خجلاً.

ـ أي. أي منزل؟.

ـ شقتي في لندن.

ـ لم.. أكن أعرف أن لك...

ـ شقة في لندن؟ لم تسأليني يوماً، لذا لم أقل لك لكن لا فائدة

الآن، أليس كذلك؟.

ردت عابسة:

ـ لا.. أريد أن أذهب إلى الفراش الآن غاريت.. أنا متعبة.. فهل تمانع؟.

ـ أبداً.. هيا.. سأخرج وحدي حين أريد.

صاحت.

ـ لا يمكنك البقاء.. سأجبرك على الخروج.. سأستدعي الجيران.

عقد ذراعيه ووضع ساقاً فوق ساق:

ـ هيا.. افعلي.. سأقول لهم إنني زوجك.

ـ اوه..!.

ارتدت على عقبيها إلى غرفة النوم تصفق الباب وراءها.

وهناك خلعت ملابسها بسرعة، ثم ارتدت ثياب النوم والروب، وخرجت إلى الحمام.. ولكنها توقفت جامدة في مكانها.. فغرفة الجلوس فارغة.. لقد رحل غاريت.

اضطجعت في الفراش على ظهرها، متوترة تعيسة فلن يعود غاريت، لا الآن ولا فيما بعد. لقد أوضحت له.. ألم توضح له أن كل شيء انتهى بينهما.. حسناً.. لقد قال إنه يريدها.. ولكن هذا كان لازعاجها فقط.

لا بد أن النعاس تغلب عليها أخيراً.. وقد حدث أن استيقظت مذعورة تنظر إلى ساعتها فإذا بها لم تنم أكثر من نصف ساعة...

دفعها صوت ما إلى الجلوس شادة غطاء الفراش حول

جسمها: هناك من يتجول في شقتها، يضيء الأنوار، يفتح حنفيات المغطس!.

فتحت الباب فشاهدت حقيبة صغيرة على الأرض، فنادت بصوت منخفض:

ـ غا... غاريت؟.

ـ ومن غيره؟ إلا إذا كان مع نيومن مفتاح.

ـ ولكنك لا تملك مفتاحاً.. فكيف دخلت؟.

ـ تركت الباب دون أن أوصده ثم توجهت إلى سيارتي فحملت منها أغراضي وركنتها في المرآب.

ـ لماذا.. لماذا عدت؟.

خرج من الحمام يلف منشفة حول جسده ويسند ذراعه إلى الحائط ناظراً إليها بإمعان.

ـ لقد شرحت لك سبب مجيئي.. أريدك.. أكنت تظنين أنني قد أرحل دون أن أنال ما أريد؟.

ـ اوه.. لا.. لن تفعل.. لن أدعك.

هرعت إلى غرفتها راكضة ثم نظرت حولها بحثاً عما تضعه في طريقه.. كرسي؟ سيدفعه بسهولة! أصغت ولكنها لم تسمع صوتاً.. لم يلحق بها، انتظرت قليلاً ثم تنهدت وصاحت:

ـ نَمْ على الأريكة. ثمة بطانية في الخزانة.

لم تسمع رداً.. ربما جانبه المتعقل قد فاز أخيراً.. ربما هو سيد مهذب لن يفرض نفسه عليها.

صعدت إلى السرير ثم جذبت الغطاء حتى أذنيها بطريقة

دفاعية طفولية وبقيت هكذا حتى بدأت أعصابها تسترخي إلى أن خاض النوم معركة مع تفكيرها فاز فيها النوم أخيراً.. شاهدت في منامها أن غاريت معها، يهمس لها أنه يحبها ولا يحب أحداً سواها، وأن النساء الأخريات قد رمتهن عائلته عليه. فسألته متمتمة:

ـ حتى مارجي!.

ثم تلاشى الحلم من أمامها فاستيقظت باكية من فرط سعادتها ولكنها لم تجد الدموع في عينيها، والأسوأ أنها لم تجد غاريت معها في الفراش.

أحست أن الغطاء يُزاح عنها وأن شخصاً يديرها لتواجهه، فسألت يثقلها النعاس:

ـ غاريت؟ قلت لك نم على الأريكة! أرجوك...

ـ وأنا قلت إنني أريدك.

ـ ظننتك رجلاً مهذباً لن يفرض نفسه على امرأة.

ـ اوه.. أنا سيد مهذب فعلاً.. ولكنك لست أية امرأة.

انحنى عليها ببطء يعانقها برقة كادت تذيب عظامها.

ـ غاريت.. لا!.

ولكنها وجدت يديها تتمسكان به عوضاً عن دفعه عنها. فحاولت بكل ما أوتيت من قدرة أن تمنع نفسها من التجاوب.. قال لها بصوت أجش:

ـ هيا حبي.. أتذكرين ما اتفقنا عليه؟ أن يمتّع أحدنا الآخر دون التظاهر بالحب؟ وأن نعيش دون عاطفة.. هه؟.

ابتسم لها، وعيناه تتحولان إلى لهيب الشفق فوق البحر،

أو إلى كهرمان متوهج. وتمتم:

ـ أنت جميلة. ألم يسبق أن قلت لك ذلك؟.

ـ بلى.. قلته يا غاريت...

أحست أنه يحملها إلى الجنة التي ظنت أنها أضاعت طريقها إلى الأبد!.

غرقا في نار من اللهيب حتى بزغ الفجر الذهبي فنظرت إلى الوجه الحبيب المفعم بالسكون والرضى فإذا به يبتسم لها:

ـ الليلة. سأعود إليك ثانية.

ردت هامسة واعدة:

ـ وسأكون في انتظارك، حبيبي.. سأكون في انتظارك.

* * *

فراشة المحبة

٨ ـ الرجل الجليد

كان تفكيرها حين استيقظت ما يزال مغلفاً بضباب النوم.. ومدت يدها إلى الجانب الآخر فلم تجد إلا الفراغ قربها. عندها أسرعت تبحث عنه فجالت في الشقة علها تجد أثراً يشير إلى أنه كان هنا ولكنها لم تجد شيئاً.. فقد رتب كل شيء قبل أن يخرج.

لماذا لم يترك أثراً على وجوده، ولو وسادة فوق الأريكة في غير مكانها؟ هل كان ما جرى حلماً؟ لا..! فالدفق الحار في شرايينها والتناغم العذب في جسدها يقول لها إنه كان فعلاً معها يعيدها إلى الحياة.

ما إن وصلت إلى الشركة حتى سارعت تتصل به هاتفياً لتقول له إنها تحبه، وإنها تريد أن تعيش معه، كرجل وزوجته، وانها ستعده بعدم الفرار منه ثانية.

ـ هايزل..؟ كيف تجري الحياة معك؟.

إنه جيس كايسي.. أجابت بسعادة وصدق:

ـ عظيمة. رائعة.. أين كنت بالأمس؟.

ـ كنت في مهمة خارج لندن.. أتقصدين أنك كنت هنا بالأمس؟ أما زلت وأنت زوجة الرئيس تختلطين بالطبقة الدنيا؟.

ـ دعك من السخرية جيس.

ـ أتتوقعين أن أغير نظرتي إليه لا لشيء إلا لأنك تزوجته؟.

سألته بلطف:

ـ وما خطبه جيس؟.

ـ تسألين؟ أنسيت ما كنت تطلقين عليه من لقب في الماضي؟ ألم تلقبيه بالعدو.. ولكن انظري الآن أنت في معسكره. قبل وقت غير بعيد قلت إنه قاس عديم الرحمة.

ـ حين قلت ذلك جيس، لم أكن أعرفه.. صحيح؟.

ـ لكنك قلت إنك حين تقابلينه ستمزقينه إرباً اربا.

ـ أعرف هذا.. ولكن...

هز رأسه بيأس ثم ارتدَّ عنها مبتعداً. ولكن هذا الكلام كله أصبح من الماضي الآن.. فالشائعات التي كانت تدور حوله مجحفة مغرضة وهي دون شك تدور حول رجل آخر. جعلها رنين جرس الهاتف على طاولتها تنتفض... هل غاريت يتصل ليقول إنها أسعدته؟.

أجفلها صوت السكرتيرة المشبع بالجفاء.. ولكن ما المهم؟.

ـ سيدة ماكيرتشي؟.

ـ أجل آنسة ماسترز.. كنت على وشك الاتصال بزوجي.. هل لي أن أتحدث إليه.

ـ لكن.. سيدة ماكيرتشي.. لقد سافر.. ألم يخبرك؟.

ماذا؟ رطبت شفتيها:

ـ اوه.. أنا.. لقد نسيت.

لماذا؟ لماذا سافر دون أن يخبرها؟ وماذا عن وعده في أن يعود إليها الليلة؟ من كان يكلّم: امرأة في أحلامه؟ أم مارجي؟.

وأكملت:

ـ لا بد أن قرار السفر جاء مباغتاً.

ـ مباغتاً؟ سيدة ماكيرتشي.. لقد قُررت رحلته هذه إلى أميركا الجنوبية والشمالية منذ عدة أسابيع.. إنه يرأس فريقاً لاستكشاف الأسواق هناك.. وهذا يعني بكل تأكيد أن قراره لم يأت فجأة.

ـ آسفة.. آنسة ماسترز.. أذكر هذا الآن..

ـ لقد ترك السيد ماكيرتشي تعليمات محددة سيدة ماكيرتشي.. لقد ترك لك مالاً في المصرف لتسحبي منه ما تشائين كما قال إن بامكانك استخدام شقته في لندن إذا احتجت إليها. وقال شيئاً آخر: جهاز التسجيل موجود هناك، فاستمعي إليه متى شاءت إذناك المرهفتان الحساستان.. هذه كلماته!.

كادت تصفق السماعة غيظاً ولكنها أدركت أن السكرتيرة وسيلة ايصال لصالح رئيسها:

ـ أشكرك آنسة ماسترز.

اذن لقد سافر غاريت دون كلمة وداع! ليلة أمس حسبته أتى إليها بدافع الحب أو بدافع العاطفة، لأنه يريدها.. يريد شيئاً ربما لا تعطيه إياه امرأة أخرى.. وهي كانت طوال الوقت تستخدم هذا وكأنها.. كأنها...

وقفت كاترين إلى جانب طاولتها:

ـ هايزل.. ما بك؟ أنت شاحبة. روبن حبيبي.. تعال إلى هنا.. شقيقتك على غير ما يرام.

حدّقت هايزل بهما ورأسها في دوار:

ـ أنا بخير.. صدقا.. أنا.. الأمر...

سألها روبن:

ـ إنه.. من تعرفين من هو؟ ماذا يبغي الآن؟. ظننت الأمر انتهى بينكما؟.

ـ كان.. ولكنه ليلة أمس.. لا.. لا.. روبن.. ظننت أننا سنبدأ من جديد.. لكن ما حدث بيننا لم يعنِ له شيئاً.

أطلقت تنهيدة حارة... فسألها جيس:

ـ وما رأيك به الآن؟ هل ستغيرين رأيك؟ انتظري حتى يبدأ بنا جميعاً.. سيأمر باعدامنا جميعاً.. بما فيهم أنت.

أطلت شمس الظهيرة كئيبة على مدخل مبنى الشركة.

كانت تقف في الكاراج بحثاً عن سيارتها عندما سمعت من يناديها:

ـ هايزل!

رفعت رأسها فرأت أن جاك نيومن هو المنادي.

ـ سيارتي في التصليح.. فهل لك أن تقليني؟.

إنّ طريقه بعيدة عن منزلها، ولكن هذا لا يسمح لها بالاعتراض الذي لا تريد أن تصدره في الواقع. فجاك إنسان تستطيع التحدث إليه لتبعد تفكيرها عن الرجل الذي تريده فعلاً...

حين أوقفت سيارتها أمام مبنى منزله، التفتت إليه مبتسمة:

«ها قد وصلنا».

ـ شكراً كثيراً هايزل.. أحب أن أقدم لك القهوة، أو الشاي؟ منزلي فارغ يجول فيه الصدى كالقبر..

كيف لها أن ترفض؟ إنها صرخة من قلب متصدع.. ألا تعرف أموراً كثيرة عن القلوب المتصدعة؟ ألا يكاد قلبها يتحطم؟.

ـ سأتناول الشاي اذن.. شكراً لك.

دخلت المنزل ففهمت ما كان يعنيه جاك بتشبيهه الصمت بالصدى.. ففي زاوية الردهة الخشبية الأرض نافذة متسخة بالغبار تلقي نوراً شاحباً على سجادة.. وعلى رف خشبي زهور ميتة. فيما تتصاعد من المنزل كله رائحة عفن تخبر أن أياماً طويلة مرت والنوافذ مقفلة.. وهذا يشير إلى حاجة المنزل إلى لمسة امرأة.

أما المطبخ فكان في فوضى كاملة، ولكن جاك شق طريقه ليضع الغلاية فوق النار، ثم قادها إلى غرفة جلوس. أبعد عن أحد مقاعدها كومة مجلات وأشار إلى جهاز التلفزيون:

ـ أمضي أمسياتي مع الكومبيوتر، ألعب ضد نفسي.

كان هذا الرجل، منذ سبع سنوات، أحد مؤسسي شركة ساينتفيك برودكتس.. وكانت ناجحة إلى درجة أثارت معها اهتمام شركة أكبر منها اسمها أنتر اليكترو.. فأين ذهبت روح جاك الريادية؟ يبدو أنها هجرته كما هجرته زوجته وولده.

التقطت صحيفة على الأرض، فوجدتها بتاريخ اليوم. راحت تقلب صفحاتها حتى تسمرت عيناها على صورة تكاد

تقفز من الداخل فالوجه أليف وكأنها تنظر إلى صديق ولكن الصورة لم تكن لصديق بل لمارجي مورتون التي كانت تعلن عن تأسيس شركة سينمائية خاصة بها: «صديقي الصناعي الكبير العزيز عليّ. غاريت ماكيرتشي، موّل هذا المشروع الجديد خصيصاً لي. وعلى هذا سأكون بطلة الأفلام التي ستنتجها الشركة التي سيكون اسمها: «ماكيرتشي ومورتون للانتاج الفني»...

أضافت الصحيفة.

«إن لم يكن هذا الخبر كافياً لإطلاق الألسن حول وضع الآنسة مورتون في حياة السيد ماكيرتشي، فما رأيكم بهذا الخبر: زوجة هذا الصناعي الكبير هربت منه منذ أربعة أيام تاركة الميدان.. أم نقول الفراش.. خالياً أمام شريكته الجديدة».

لا حاجة إلى التعريف عمن سرّب هذه المعلومات لهذا المقال.. فمارجي أبلغت العالم كيف ينظر غاريت إلى موهبتها حين موّل لها مثل هذه المغامرة...

أطبقت يدا جاك على كتفيها:

ـ هل الخبر صحيح؟.

ـ أتشير إلى المتعلق بتركي غاريت؟ أجل.. صحيح.

ـ إذن فهو فعلاً ذاك القذر الذي سمعنا عنه الكثير.

ـ هناك أكثر من سبب دفعنا إلى الزواج، ولا بد أن يكون هناك أقوى منها لفسخه.. هل ستشعر بالأسف عليه، بسبب ترك زوجتك لك؟.

ـ بعد النظر إلى هذا المقال أرى أن لديك مبرراً لما فعلته.

ارتشفت قليلاً من الشاي.

ـ كنت أعرف عن مارجي منذ البداية.. المشكلة أنني أحببته جاك.. وما زلت أحبه، غير أنني أرفض مشاركته حياته.

ـ إنه مجنون دون شك لاختياره تلك المرأة عوضاً عنك.. وما كنت لأقول لك هذا لو كنت سعيدة تماماً معه ولكن بما أنك تعسة فأتجرأ على أن أخبرك شرط أن يبقى هذا بيننا.. موافقة؟ لقد بدأ بإلغاء قسم الأبحاث.

ـ سيخفض العدد جاك؟.

ـ لا.. بل سيلغيه نهائياً.

ـ هل يعرف الآخرون؟.

ـ سترسل انذارات الصرف حالما يعود من أميركا.

ـ هل علي أن أكتم الخبر عن الجميع؟ هل حاولت اقناعه جاك؟.

ـ حاولت أنا وبيتر ولكننا كنا كمن يحاول إقناع هزة أرضية بتغيير مسارها إلى الداخل.

أحست أنها تعاني من أثر ذلك الزلزال، فوقفت:

ـ يجب أن أذهب جاك.. شكراً للشاي.. أتريد أن أقلك صباحاً إلى الشركة؟.

ابتسم:

ـ لا أرغب في ازعاجك إنما..

ـ لا إزعاج أبداً.

ـ أين تسكنين؟ في شقة غاريت هنا؟.

ـ أتعلم.. أنا لا أعرفها حتى... ولا أعرف العنوان.

ـ أتقصدين أنه لم يدلك إلى مكان إقامته؟ لحظة.. يبدو أننا الآن في المركب ذاته... أنا مع زواجي المحطم، وأنت مع زواجك المحطم.

وكيف لا يتحطم بعدما قرأت هذا المقال المتعلق بمارجي، أو بعدما اطلعت على المعلومات المتعلقة بإلغاء قسم الأبحاث؟.

حين وصل جاك مع هايزل صباحاً حيتهما ساندرا في موقف السيارات... كانت تنقل النظر من أحدهما إلى الآخر وهي تقول مازحة إنما بتقطيبة خفيفة.

ـ هل أمضيتما الليل معاً أم ماذا؟.

ردت هايزل بمزاح مماثل:

ـ أجل.. وتمتعنا بكل لحظة... هذا غير صحيح ساندرا إنما سيارة جاك معطلة.

ـ لم أكن أعلم أنك تسكن على مقربة من هايزل.

ردت هايزل.

ـ إنه لا يسكن على مقربة مني.. ولكنني لم أمانع في الذهاب إلى منزله لأقله إلى العمل.

هزت ساندرا رأسها، ومضت في طريقها.. كانت هايزل طوال اليوم تتوق إلى أن تخبر روبن بقرار غاريت غير أنها كانت تحترم ثقة جاك بها.

في الأسبوع التالي، وجدت نفسها على الدوام تشارك جاك الطاولة نفسها ساعة الغداء. ولم تكن واثقة ما إذا كان هو من

يرتب هذا أم أنها الصدفة. في هذا اليوم لاحظت أنه ينظر إليها باهتمام.

ـ هل ترافقيني للعشاء الليلة؟.

كان اليوم الجمعة وهو نهاية الأسبوع الذي بدا طويلاً مديداً كالمطاط. كان جاك قد أطلق دعوته بصوت مرتفع مما دفع الجميع إلى الصمت من حولها لسماع ردها. أزعجتها رغبته في أن يسمعه الجميع وكانت على وشك الرفض حين تراءت لها أمسية مضجرة كئيبة أخرى.. فردت:

ـ عظيم.

ـ سأحضر لأصحبك في السابعة.

نظر إليها روبن متسائلاً، فأرادت أن تصيح به: لابأس عليّ يا أخي العزيز.. فعندما يوصلني إلى المنزل، ولو في ساعة متأخرة.. لن يحصل بيننا أي شيء! ثم فكرت: إن كان أخي يشك فيّ فما بالك بالآخرين؟ عندئذٍ تساءلت: هل يجب أن أخرج معه؟ ثم تذكرت أن غاريت يدعم المستقبل العملي لتلك المرأة وقد اعترف بنفسه أنها ستبقى موجودة دائماً بانتظاره. التفتت إلى جاك ترد:

ـ سأتطلع شوقاً إلى هذا يا جاك.

وكانت تعني ما تقول.

* * *

مرت ثلاثة أسابيع على سفر غاريت، بدت لهايزل ثلاث سنوات. تلك الليلة حاولت أن تقرأ وهي شبه مستلقية في

مقعدها المفضل ذي الذراعين المريحتين، ولكن أفكارها ظلت تراجع ما حدث بينها وبين جاك عندما دعاها للعشاء.

كان قد بدا في مطلع الأمسية ساحراً ولكن بعد مضي الوقت راح يتغير بعض الشيء وقد قال لها:

ـ نحن شخصان راشدان هايزل.. فلماذا لا نؤاسي بعضنا بعضاً.

ـ أنا لا أسعى للمؤاساة جاك... بل إلى راحة البال.

ـ لن يعطيك هذا راحة البال فقط بل الراحة الجسدية أيضاً...

انحنى يحاول معانقتها فارتدت عنه.

أهذا هو جاك نيومن إذن.. رئيسها السابق، الذي طالما نظرت إليها باحترام وإعجاب.

ـ آسفة جاك.. لكن لقلبي شجونه الخاصة ولجسدي أيضاً.

وقف متألماً وقال وهو أمام الباب:

ـ أنت تتكلمين بكل ثقة ولكنني لن أستسلم.. فثمة أمر واحد ما زلت متأكداً منه وهو أنك خسارة بغاريت.

رمت كتابها جانباً ثم هبت واقفة تمطّ جسدها قرب النافذة. لم يكن السأم سبب تململها، بل الشوق الضارب كالمطرقة على قلبها، الشوق الذي يجعلها متوترة متحفزة.

راح الراديو الصغير القابع على مقربة منها يصدح بموسيقاها المفضلة، ولكن صوتاً مزعجاً من راديو الجيران جعلها تجفل.. أرادت أن تصيح: أخفض صوت الراديو! ولكنها فكرت أن الجيران ربما شغلوا جهازهم لإسكات جهازها فأسرعت

تصمته..

تعالى فجأة من داخلها صوت سكرتيرة غاريت وهي تقول عن لسانه: جهاز التسجيل في شقتي لك.. استخدميه متى شاءت أذناك المرهفتان ذلك.

أسرعت تبدل ملابسها وهي تحدث نفسها بأنها ستمنح نفسها كل الفرصة.. ثم فتحت الباب لتركض هابطة على الدرج.

بعد نصف ساعة كانت تقف أمام صف طويل من المنازل السكنية الفاخرة في ناحية شهيرة من لندن.. إنها الآن تختبر الإحساس المألوف لديها بالرغبة في الهرب والاختباء حتى تصلح الدنيا الأمور.

تلقت وهي واقفة على الرصيف دفعة من شخص ما فتحركت متوجهة إلى الباب حيث قرعت الجرس النحاسي الأخضر البرّاق فتناهى عندئذٍ صوت يطلب منها أن تعرّف عن نفسها.

ـ أنا السيدة ماكيرتشي.. هايزل ماكيرتشي.

سألها صاحب الصوت الرجولي بتعجب.

ـ من؟.

كررت الاسم.. فقال صاحب الصوت:

ـ لحظة من فضلك.

انفتح الباب فأطل منه شاب أنيق:

ـ السيد ماكيرتشي غير موجود. إنها المرة الأولى التي تأتين فيها إلى هنا.. أليس كذلك؟.

دخلت المنزل وهي تقول:

ـ جئت لأرى جهاز التسجيل.

ـ اوه.. من هنا اذن.. اسمي توني على فكرة.

كان الدرج الذي راحت ترتقيه يتعالى إلى الطابق العلوي، فأحست بشيء يحثها على الركض حتى ترى إذا كان هناك من سيلحق بها حاملاً بيده فردة حذائها. سحبت نفسها من الماضي عندما سمعت الشّاب يقول:

ـ هذه هي الغرفة سيدتي. أتعرفين كيف تشغلّين الجهاز؟ حسناً، سأريك.. ما هي موسيقاك المفضلة؟.

ـ الكلاسيكية.

راحت تراقبه وهو يعلمها كيفية استخدام الجهاز وعندما انتهى وأراد الخروج سألته:

ـ أنت خادم خاص غير عادي توني.

احمرّ وجهه:

ـ كنت بحاجة إلى العمل وقد منحني السيد ماكيرتشي فرصة التعلم. لم تعجبني الفكرة في البداية، ولكن الأمر مختلف الآن. أنا صديق ابن أحد أصدقائه.. وأتدرب في مدرسة فندقية.. إذا احتجت شيئاً نادني، سيدتي.

شاهدت في الغرفة بيانو كبير أمامه حمّالة وُضع عليها نوتة لمعزوفة موزارت.. هل يعزف غاريت البيانو؟ هل يكون هذا جزءاً آخر من طبيعته أجهله؟.

صدحت سيمفونية بيتهوفن في الغرفة فتمددت على الأريكة تصغي إلى الأنغام الجميلة التي راحت تتلاعب بأفكارها دافعة

إياها إلى حالة عاطفية لم تعرفها منذ أن دخل غاريت حياتها.. تبع اللحن الكلاسيكي، موسيقى حديثة. شعرت معها بإثارة أقوى. كانت وهي تنصت تشعر بنشاطها يتجدّد وبقدراتها تتزايد ولكن هذا لم يمنع دموعها من الانهمار.

تذكرت في تلك اللحظة لقاءها الأول بغاريت، تذكرت مشاعرها تجاهه فاشتاقت إليه أكثر وازداد انهمار دموعها.

احتوتها ذراعان قويتان رفعتاها لتقف على قدميها ثم راح فم يلتقط الدموع عن وجنتيها.

همست وهي لا تكاد تصدق:

ـ غاريت؟ أهذا أنت.

فقال: «هس» ثم راح يعانقها ويعانقها وكأنه ظمآن انقطعت عنه المياه أياماً.

ـ دعيني أحضنك فقط... أنت الآن هنا في منزلي، وبين ذراعي.. هذا هو المهم...

عندما صمتت الموسيقى توقفت أحلامها فجأة. فقد وقفا منفصلين، وكأنهما غريبان.. سألها بصوت أجوف:

ـ أجئت سعياً إلى الموسيقى؟

كان صوته بارداً مما أطفأ تلك الشعلة التي أشعلها عناقه منذ قليل.

هزت رأسها ثم اتجهت إلى الجهاز تطفئه وبعد ذلك التفتت إليه.. وكأنه لم يلمسها يوماً.. وكأنهما لم يكونا مغلفين بعناق حميم حار...

ـ عدت باكراً من رحلتك.. قيل لي إنك ستغيب بضعة

أسابيع.

ـ أوصلت الفريق الذي أسست لهم خطواتهم، ثم عدت، وصلت منذ لحظة من نيويورك.. أهناك مزيد من الأسئلة؟.

ردت بسرعة، قبل أن تخونها شجاعتها:

ـ أجل.

اجتاز المسافة الفاصلة بينهما، ثم أمسك وجهها بين يديه وأشبعه تقبيلاً. أغمضت عينيها وشدت قبضتيها لتمنع ذراعيها من الالتفاف حوله.

ـ اسألي اذن.

كانت ذراعاه قد عادتا إلى تطويقها:

ـ أنت تموّل شركة انتاج سينمائي لعشيقتك.

لم يدفعها عنه، بل شد قبضته على خصرها وجذبها إليه.. ثم أبعدها.

ـ ومن قال هذا؟.

ـ السيدة نفسها ومن سواها. لقد تسرب الخبر عبر صحيفة «فياميديا» في سائر أرجاء المعمورة.

ـ لم أكن أعرف أن ذوقك في الصحافة تدنى إلى هذا المستوى، فأصبحت تقرئين صحيفة كهذه.

ـ أنا لم اشترها.. لقد شاهدتها عند..

فات الوقت على الصمت والتراجع فأردفت:

ـ عند جاك نيومن يوم أوصلته إلى منزله.

رد بصوت ملؤه السخرية، رافعاً حاجبيه إلى الأعلى وقد اكتسح عينيه برود رهيب.

ـ صحيح؟ إذن هو جاك نيومن في كل حال؟ في البداية صدقتك حين أنكرت.. وكان يجب أن أعتمد أكثر على حكمي الخاص.. لقد رأيتك معه بما يكفي ليثبت شكوكي بشأن علاقتكما.

لن يصدقها الآن ولو أنكرت.

ـ ولكنك تموّل مشروع عشيقتك.. أليس كذلك؟.

ـ أجل.. هذا صحيح.

قال كلماته تلك دون أن يضيف أنها ليست عشيقته.

كانت عيناه في غاية البرودة فتساءلت أين ذلك الدفء ذلك الذي رأته في عينيه منذ أسابيع فقط عندما دخل إلى حياتها وإلى قلبها.

ـ حسناً.. بما أنك تفكّر فيها، فلا شك أنك ستسرّ حين تعرف أنها قالت أيضاً إن زواجنا انتهى. بل لقد لمحت بما أنك صديق عزيز جداً إلى أنها ستكون التالية على لائحة نسائك.

ـ ولكنك أيضاً لم تضيعي وقتك سدى في إقامة علاقة مع جاك نيومن.

ـ أنت تشوّه سمعتي وسمعة جاك، غاريت!

ـ أقيمي الدعوى عليّ. لماذا لست صريحة مثلي؟ أنا على الأقل لم أنكر أن مارجي تنتظر دورها لتحل محلك في حياتي.

ـ ألم تكن هناك من قبل؟.

لقد سمعتها تقول لك ذلك في اليوم الذي تركت فيه منزلك في اسكتلندا.

ـ سمعت هذا اذن؟ إنه يفسر أموراً عديدة تتعلق بسبب

هروبك في شهر العسل. . .

ـ أجل. . هذا يفسر كل شيء. اكتشفت مما قالته مارجي أن السبب الوحيد الذي دفعك للزواج بي هو أنني أنسجم مع نمط حياتك، ومخططات عملك. . أظننتني سأترك عملي وأتخلى عن حريتي، لألحق بك إلى آخر الدنيا؟.

تحركت بقلق تتفحص رفوف الكتب على الجدار، فسألها:

ـ جئت بسيارتك؟.

ـ بالتاكسي.

ـ سأعيدك إلى شقتك. . إلا إذا كنت تنوين البقاء هنا.

ـ لن أكون على الرحب والسعة هنا. . فلربما دعوت مارجي للانضمام إليك فيما بعد.

أدارها نحوه والغضب الأسود على وجهه.

ـ العين بالعين حبي. . أليس كذلك. . دون شك هناك جاك نيومن بانتظار دعوتك.

تحررت من قبضته، وفركت ذراعها حيث كانت يده. . ثم قالت بعنف، تلعن عجزها عن السيطرة على ارتجافها:

ـ أنا ذاهبة.

ـ من هنا اذن.

لم يتفوه غاريت بكلمة طوال طريق العودة أما هايزل فهنأت نفسها لأنها نجحت في كبح دموعها. .

حين أوقف السيارة قالت ويدها على ذراعه:

ـ قبل أن أذهب غاريت. . هل صحيح أنك تنوي الغاء قسم الأبحاث؟.

نظر إلى يدها ومنها إلى وجهها، فأحست بنظرته كالسوط وبصوته كالمطرقة:

ـ أنوي الغاء قسم الأبحاث.

انطلقت منها صيحة ألم.

ـ لماذا غاريت. . لماذا؟.

قال بوحشية:

ـ حددي موعداً لمقابلتي وعندئذٍ قد أشرح لك.

فتح لها باب السيارة، ثم أدار المحرك ثانية ينتظر ترجلها.

ـ عمت مساءً غاريت. . أشكر لك توصيلك إياي.

* * *

أعلن جيس عن تأليف وفد مؤلف من ثلاثة أشخاص لمقابلة غاريت، والتباحث معه بخصوص إلغاء قسم الأبحاث. .

كان غاريت مستعداً لهم فعيناه كانتا حادتين وظهره مستنداً إلى كرسيه، أما ذراعاه فمستقرتان على مكتبه.

طلب منهم الجلوس بفم ملتو وكأنه حيوان يتفحص فريسته الواقعة تحت رحمته.

نظر إلى كل واحد منهم يهز رأسه ولكنه أطال تحديقه غير الودي إلى هايزل. . .

سأل ساخراً:

ـ من هو المتكلم باسمكم؟.

نظر جيس وروبن إلى هايزل. . فعلق غاريت ساخراً:

ـ كان يجب أن أعرف هذا دون سؤال. . فعلى ما أذكر أنني

تلقيت انذاراً بهذا المعنى في بداية معرفتنا... حسناً ما هي مشكلتكم؟.

ردت هايزل بحدة:

ـ تعرف تماماً ما هي.. إنها تدور حول إلغاء قسم الأبحاث.

ـ لا تعجبكم الفكرة؟.

إنه يتلاعب بهم فأرادت أن تضربه بقسوة..

ورد جيس:

ـ لا.. لم تعجبنا لأننا سنفقد بذلك وظائفنا.. أليس ما أقوله صحيحاً؟.

ـ سيقيم التعويض بأودكم حتى تجدوا وظيفة أخرى. لا تخافوا سأكون سخياً معكم.

قال روبن:

ـ ليس الأمر كما تتصور سيد ماكيرتشي، نحن نشعر أن قسمنا لم يعط بعد فرصته، فالأبحاث من أي نوع كانت تحتاج إلى المال. ولكن معظم الشركات تعتبر أن هذا القسم لا يستأهل أكثر من جزء بسيط من ميزانيتها.

تدخلت هايزل.

ـ الأبحاث جزء هام من الصناعة، وبدونها لا يمكن التوصل إلى أقل تقدم.. أليس كذلك؟.

قال غاريت على غير توقع:

ـ أوافق على هذا.

ـ إذن لماذا ستقفل القسم؟.

مد يده إلى خلفه يلتقط ملفاً ضخماً:

ـ لماذا؟ لقد وضعت كشفاً بما قام به القسم حتى الآن. واللائحة مؤثرة إنما ما من شيء طبّق حتى الآن.

قال جيس:

ـ نحن كما قال لك روبن بحاجة إلى المال للتنفيذ..

قال روبن:

ـ مستوى التمويل منخفض، لذلك نحن مقيدون.

ـ مستوى التمويل منخفض؟ ثلاث قطع من المعدات الحديثة في أقل من سنة.. وأين النتيجة؟ ما فائدتها؟.

ـ لكننا قسم صغير يا غاريت.

أوضحت نظرته إلى هايزل التي استخدمت اسمه الأول، أنه يظنها تحاول تملقه.. فأكملت:

ـ لو كان لدينا المزيد من الموظفين لقدمنا النتائج التي تنشدها.

تدخل جيس:

ـ وهذا يعيدنا إلى سيرة المال اللازم.

رد بحدة:

ـ أتتوقعون مني أن أرمي مالي جزافاً خاصة وأنني أرى أن قسمكم لم يقدم شيئاً ذا قيمة منذ تأسيسه.

أعاد الملف إلى موضعه في الخلف وهذه إشارة إلى قرار اتخذه وانتهى.

ـ أمهلنا بعض الوقت لنبرهن عن أنفسنا.. أعطنا المزيد من المال، والمزيد من الموظفين.. فنحن خمسة فقط عدا هايزل.

عقد ذراعيه فشعرت هايزل باليأس وصاحت تشد على ذراعي مقعدها:

ـ كنت على حق اذن حين قلت لك قبل أن أعرف هويتك إن صاحب المؤسسة الجديد رجل لا يرحم ولا يشفق في تعامله، ولا ينظر إلى المعاناة الإنسانية؟ أنت الآن تثبت أن كل الشائعات الحائمة حولك صحيحة.

عرفت هايزل أنهم خسروا المعركة، بل عرفت أن لا أمل لهم بالفوز. فتابعت تهجمها:

ـ أنت لا تلين أبداً بل لا تصغي إلى آراء الناس.. إن الكومبيوتر أشد منك تفهماً للحاجات الإنسانية!.

تدخل روبن:

ـ هايزل.. بالله عليك...

نظرت إلى أخيها المذعور وإلى يديها المشدودتين فوق المقعد ثم همست:

ـ آسفة.

أطرق غاريت برأسه ولكن وجهه ظل قناعاً بارداً.

ووقف روبن يشير إلى جيس برأسه ويقول.

ـ نشكر لك اصغاءك سيد ماكيرتشي.

ـ اسمي غاريت يا روبن.. ألسنا نسيبين؟.

انتظرها روبن وجيس أمام الباب لتمر قبلهما ولكنها قبل أن تخرج تطلعت إلى الخلف تنظر إلى غاريت.

ـ هايزل.

أوقفها صوته المتسلط في مكانها وأشار إليها روبن أن

تعود.. فخطت ثلاث خطوات إلى الغرفة الكبيرة:

ـ نعم؟

ـ سأوظفك في قسم آخر حين ألغي القسم.

حين ألغي القسم! إذن لقد ذهب جهدهم سدى.

ـ شكراً لك.. إنما احتفظ بعاطفتك الوظيفية لنفسك سأقوم بتقديم طلب في مكتب الاستخدام الحكومي مع بقية الموظفين الذين هم في الواقع من أفضل الموظفين... لقد اتهمتني يوماً باستخدام مكانتي عندك في سبيل أحد أقربائي.. حسناً.. امنح ذاك العرض أحد أقربائك، لا أقربائي.

صفقت الباب وراءها.. ثم استندت إلى الجدار، تضغط أصابعها على وجهها.. فلن تترك الدموع تغلبها.. لا لن تتركها.. فلو خرج وشاهد دموعها، لعرف أنه انتصر!

* * *

فراشة المحبة

٩ ـ القلب العاصي

رن جرس هاتف مكتب هايزل في الصباح التالي.. فظنت أنه غاريت، يريد تبليغها بموافقته على استبقاء القسم. ولكن قلبها خفق خيبة:

ـ هايزل؟ أنا جاك. هل لنا أن نلتقي مساءً.

ـ لمَ لا؟ هل وصلك خبر ما عن عائلتك؟.

ـ استلمت رسالة من زوجتي التي وافقت على أن أرى ابني.

ـ عظيم.. أخبرني كل شيء حين نلتقي.

كانا يجلسان في مقهى قديم عندما قال لها مايريد منها:

ـ طردني غاريت.

تسمرّت في مكانها، تحبس أنفاسها، ثم تركتها تخرج من بين شفتيها في زفرة طويلة.. لا هذا غير صحيح.

ـ أنت تمازحني جاك دون شك.

ـ سأترك الشركة غداً.. لقد أخليت مكتبي من جميع أوراقي، ووضعتها في سيارتي.

ـ ولكن لماذا طردك بحق الله...؟.

ـ بسبب عدم الكفاءة.. وهذا يشمل كل شيء وأي شيء.

هل تتصورين ما شعرت به؟ وكأن ما لدي لا يكفيني. قلت أشياء له ما كان يجب أن أقولها.. لقد أفقدني صوابي.

ـ ماذا قلت له؟.

ـ قلت مثلاً.. إننا كنا نريد الزواج.. أردت أن أؤلمه وأن أؤثر في أعصابه، ليتوتر، ولكنني شعرت أنني لم أفعل بقولي ذاك إلا توتير أعصابي. إنه قذر هايزل. وما سمعناه عنه صحيح كله إنه يستخدم المقصلة لا المنجل لتتساقط الرؤوس بكل حقد.

ارتشفت قليلاً من العصير لترطب شفتيها:

ـ سأرى ما أستطيع أن أفعل. ولكنني لست المفضلة عنده في الوقت الحاضر. بالأمس أنذر قسم الأبحاث بالإلغاء فواجتهه بعد الظهر.. لا.. بل هو من واجهنا.. كنا كمن يقابل فهداً في غابته.

أمسك بيدها يتلاعب بها:

ـ لا تزجّي نفسك بمشاكل معه.. أريد أن أتزوجك حينما نصبح أحراراً من ارتباطاتنا.

لن تستطيع أن تقول له إنها بعد غاريت لن ترغب في رجل آخر.. وإنها نادمة لأنها لم تمهل زواجهما فرصة فلربما كانت سترى يوماً طيباً لو فعلت.. لكن أيمكن هذا.. أبداً؟.

ـ ماذا عن السيد انديرز؟.

ـ بيتر؟ إنه محصن من الحريق، فهو أكبر مني سناً وأعظم مني خبرة وبحسب قول السيد ماكيرتشي يمتلك كل الفضائل التي تنقصني.

رفعت هايزل كرسيها إلى الخلف وقد تراءت لها صورة في رأسها: جاك جالس في منزله، وحيد، دون أمل، دون عائلة أو وظيفة. ولو كان في مقدورها القيام بأي شيء لردَّت إليه وظيفته.

* * *

سألها توني، الخادم:

ـ من الطارق؟

ـ السيدة ماكيرتشي.. هايزل ماكيرتشي.

ـ حسناً.. لحظة من فضلك.

بعد لحظات عاد يقول:

ـ أما زلت هنا سيدتي؟ يطلب منك السيد الدخول إنما لوقت قصير فقط.. فلديه موعد الليلة.

فتح الباب لها وأشار بيده:

ـ من هنا أرجوك.

كان غاريت يقف قرب مكتب سطحه رخامي، يحدق إلى أوراق مفروشة عليه.. وبدا وكأنه ينتزع نظره عنها انتزاعاً لينظر إلى هايزل.

عندما كان يرفع نظره إليها، أخفضت عينيها تنظر إلى ما كان يشغله.. كانت صوراً لمارجي، صوراً احترافية كبيرة، بعضها بالأسود والأبيض وبعضها بالألوان.

أحست بالغيرة تطغى على الغضب في داخلها خاصة وأنها

لا ترى في عينيه أقل ترحيب بل إنه لم يدعها للجلوس واكتفى بأن سألها بأدب بارد:

ـ أردت رؤيتي؟.

عرفت الآن ما أحس به جاك حين واجه هذا الرجل العديم الرحمة.. فأرادت أن تخترق دفاعاته وتطعن ثقته الفائقة بنفسه...

ـ لقد أخبرني جاك أنك طردته.

ـ أنت على علم بالخبر اذن.

ـ كيف فعلت هذا غاريت؟ إنه أحد مؤسسي الشركة. ما الذي تضمره له حتى تستولي على الشركة التي أسسها بيديه ومن ثمَّ ترميه خارجاً؟ هو وبيتر...

قاطعها ببرود:

ـ إنهما شخصان مختلفان.. وإذا كان هذا ما ترغبين في قوله، فاخرجي من هذا البيت.

تراجعت هايزل مذعورة من قسوة كلماته.

ـ غاريت.. ما زلنا متزوجين...

ـ صحيح؟ هذه أخبار جديدة.. سمعت من فم جاك نفسه أنكما تخططان للزواج ما إن يتحرر هو من زوجته وتتحررين أنت مني.

ـ أعرف أنه قال ذلك ولكن ما قاله غير صحيح.. كما أنه لم يقصد ما قال. أخبرني أنه قال لك أشياء كثيرة لم يكن يعنيها.. أراد أن يزعجك فقط.

ـ وهل ظن أنه بهذا الخبر الحقير، يزعجني؟.

صاحت بارتياع.

ـ لقد حكمت عليه ذاك الحكم لأننا خرجنا بضع مرات معاً...

قاطعها بخبث حاقد:

ـ أهذا كل ما فعلتماه معاً؟ أخبرني أنه عانقك، احتواك بين ذراعيه، وقبلك، و... انكري هذا إذا استطعت!.

ـ أنكر فعلاً.. على الأقل الأجزاء الأخيرة لقد حاول معانقتي.. لا غير. أقسم لك.

تقدم منها:

ـ ألا يكفي هذا؟ ربما ما تبقى آت قريباً. إنما فكري في الفرص الكبيرة أمامكما حين تصبحان دون عمل. أنت الآن مسرورة دون شك لأنك رفضت عرض العمل الذي عرضته عليك فهذا سيعطيك الحرية لتصبحي رفيقته الدائمة.

ـ تعترف إذن أن طردك له كان بدافع الانتقام فقط؟.

ـ لا أعترف بشيء.

لمست هايزل شعرها، وانتظرت بضع لحظات تلتقط أنفاسها وتتلقى نظراته.. فأحست بقلبها يكاد يتحطم.. يبدو في غاية الوسامة وهذا يعني أنه مستعد للموعد.

ـ كان لطرده أسباب تبريرية، لا أسباب عاطفية فمنذ البداية شكل عائقاً بعدم تعاونه وكثرة مجادلاته. كان يجادل في كل خطوة يقوم بها مجلس الادارة.. كما أنه أفشى سراً بيح له به على أساس الثقة: مسألة الغاء قسم الأبحاث.. وهذا لا يشير إلى أنه أهل للثقة.

ـ هذا مستحيل.. هو متعقل ومنفتح.. إنه وبيتر أفضل موظفين قد يرجوهما أحد، ولا شك أنك لم تتعامل معه بشكل مناسب.

كان صوتها يرتفع وهي تحاول اقناعه.. قطع ثلاث خطوات جعلته على مقربة منها وأسرع يمسك مقدمة قميصها.

ـ أنت محتدة جداً في الدفاع عنه.. وأظن الوقت قد حان لأتعامل معك أنت بشكل مناسب.

أدارها بقوة.. جعلت ياقة قميصها تضيق حول عنقها، فشهقت.. رفعها إلى الأعلى، فارتفع القميص عن خصرها، وامتدت يداه إليها لتضماها بعنف. كان يدفعها إلى الاستجابة وقد نجح في ذلك إذ راح دمها يجري حاراً في عروقها شوقاً إليه فهمست شاهقة:

ـ غاريت.. غاريت.. يجب أن تتوقف...

ـ لماذا أتوقف؟ أتشتاقين إلى جاك نيومن حينما تعودين لتقدمي له تقريراً عن نتيجة دفاعك عنه؟ لا.. وحياتك!.

تناهى من البعيد رنين جرس الباب فتردد لحظة، استغلتها فتلوت بين يديه وافلتت منه.. وقالت بخشونة:

ـ وصلت من تواعدت معها.. ستتمكن الآن من إرضاء غريزتك دون أقل مقاومة.

نظر إليها وهي تتعثر في تزرير القميص وقال ببرود:

ـ أجل.. هذا ما سأفعل.

قرع توني الباب بخفة:

ـ سيد ماكيرتشي.. تطلب الآنسة مورتون رؤيتك.

دخلت مارجي تنظر باستغراب إلى هايزل وتقول:

ـ حبيبي؟ كنت تتوقعني؟.

مد ذراعيه إلى مارجي التي.. لم تنتظر دعوة، بل اندفعت إلى ما بينهما.. فما كان من هايزل لحظتئذٍ إلا أن هزّت رأسها عالياً:

ـ وداعاً غاريت.

إن كانت قد انتظرت رداً منه فقد خاب أملها.

لم يكن هناك مجال للخطأ في تصرفه البارد الذي ينهي كل شيء.

مرت ثلاثة أسابيع كان غاريت قد سافر في أحدها مع مارجي إلى أميركا.. قبل ثلاثة أيام من نهاية الأسبوع الأخير، وصلت دعوة إلى جميع موظفي «ساينتفيك بوردكتس» لحضور التجمع السنوي لموظفي انتر اليكترو. أمسكت كاترين بدعوتها:

ـ من السخرية أن تصلنا الدعوة في الأسبوع الأخير من العمل هنا. ترى أيطردني من العمل إن لم أحضر؟ ولكنني مطرودة سلفاً.

رد روبن:

ـ أليس هذا حال الجميع في هذا القسم؟ تقول الدعوة إن الحفلة تُقام في منزله في اسكتلندا.. قرب الفندق الذي أقيمت فيه حفلة زفاف ساندرا. إنه المنزل الذي أمضيت فيه شهر العسل هايزل.

سألتها كاترين:

ـ هل ستذهبين؟.

هزت هايزل رأسها:

ـ ستكون هذه آخر مرة أرى فيها ذلك المكان.

قال جيس:

ـ إن ذهبت، فلآكل طعامه ليس إلا.. إنه مدين لي بهذا.. سأعتصر آخر قرش أستطيعه منه.

ضحك الآخرون.. ولكن جيس مشى مبتعداً.

مساء الجمعة توجّه الجميع إلى مطعم محلي لتناول وجبة وداعية.. ولكن هايزل أحست بالتعاسة لأن تجمعهم هذا شبيه بتجمعهم ليلة زفاف ساندرا.. ولكنهم في هذه المرة حاولوا هم الترفيه عنها أما في المرة الماضية فقد سعت هي إلى إدخال البهجة إلى قلوبهم.

مع انبلاج الصباح انطلق الرُّفاق الأربعة بسيارة روبن: كاترين في المقعد الأمامي إلى جانب خطيبها، وهايزل في المقعد الخلفي إلى جانب جيس.

استقبلهم وجه الخالة دانيس بالترحاب، فاندفعت هايزل إليها تعانقها وهي تحس أنها بحاجة إلى المؤاساة والطمأنينة في مثل هذا الوقت:

ـ يا لغباء ابن أختي! كيف يتركك ترحلين؟ لقد كانت السعادة بادية على وجهك يوم زفافك. لو كنت موجودة لما تركتك ترحلين كما فعلت غويا.

وقفت هايزل قرب نافذة غرفة نوم صغيرة معدّة للضيوف أوصلتها إليها الخالة دانيس...

ـ يؤلمني اضطراري استضافتك في هذه الغرفة عزيزتي. ابن

أختي الغبي، اتصل بي من هوليود طالباً مني استضافتك في المنزل لئلا تحجزي في الفندق مع الآخرين ولكنه اشترط ألا تحتلي غرفته مع أنك زوجته.

أين هو اذن! ألن يحضر الاحتفال؟.

حين كانا في المنزل، أراها غاريت هذه الغرفة.. يومذاك وجدتها غرفة ساحرة وقد تصورت والديها يقيمان فيها وينامان في سريرها الواسع ولكنها لم تتصور لحظة أنها ستقيم هي فيها.. ضيفة.

تلك الليلة شاركت الخالة دانيس العشاء مع هايزل وروبن وخطيبته وجيس، وكان هؤلاء الثلاثة قد حجزوا للمبيت في فندق قريب على حساب الشركة.

عندما كانوا يحتسون الشاي قالت دانيس:

ـ ابن اختي رجل محب للخير.

صاحت هايزل مذهولة:

ـ غاريت.. محب للخير؟ المحب للخير يقدّم الخير للآخرين! ولغاريت سمعة رهيبة خالتي دانيس. خاصة في مجال طرد الموظفين بعيداً عن النظر إلى معاناة عائلاتهم.

ـ إنّه العمل.. وهو صارم فيما يتعلق به عزيزتي، وهذا ما يجب أن يكون عليه رجل في مثل مركزه.. أما القسوة؟ فلا أعتقد إنها صفة من صفاته.

وهبت دانيس واقفة.

ـ سأذهب لأرى ما يفعل العمال.

عندما كانت هايزل ترتقي الدرج وصولاً إلى غرفتهاكادت

تصطدم بغويا:

ـ اوه.. سيدة ماكيرتشي! ما أجمل رؤيتك ثانية هل السيد بصحبتك؟ لقد وقعت مشاكل كبيرة على رأسي وعلى رأس دوم حنيما تركت المنزل.. كان السيد يرغي ويزبد، يا إلهي لم أشاهده قطّ ثائراً كما رأيته يومذاك.

ـ ثائراً عليك أم علي غويا؟.

ـ على ثلاثتنا، عليك بسبب هروبك وعلي لأني لم أمنعك وعلى دوم لأنه أقلك إلى المحطة أتعلمين أنني كدت أفقد عملي.. لا تطلبي مني ثانية مساعدتك على الهرب.

رفعت هايزل يدها ثم حثت خطاها مبتعدة.

وعندما أصبحت في غرفتها أطلت على الباحة الخارجية من النافذة فشاهدت السيارات تتوافد مالئة كل الزوايا وفتشت عن سيارة غاريت ولكنها لم تجد أثراً لها فتساءلت إن كانت ساندرا آتية.

كانت الأمسية كالذهب البرّاق، فالجبال البعيدة تتوارى بغموض وكأنها ماسة سحرية، والبركة تتلألأ عليها أنوار المغيب حتى تكاد مياهها تتحول إلى دماء حمراء.

كانت هذه الروعة وهذا الجمال كله سيصبح لي لو قبلت أن أكون الزوجة المطيعة الخاضعة أو رضيت أن أكون المرأة الثانية بعد مارجي في حياة غاريت.

استخلصت في النهاية خلاصة مهمة: لقد أحسنت عملاً عندما تركته لأنني بذلك حافظت على عزة نفسي واحترامها وإن كنت قد خسرت من أحب، ولكنه لم يكن لها يوماً لتخسره

حقاً.

دخلت كاترين قاطعة عليها أفكارها.

ـ تعالي إلى تحت، لقد بدأت الحفلة.. لن تصدقي لو قلت لك إن جاك هنا.

ـ جاك.. مدعو إلى هنا؟ لم يخبرني.

ـ إنه يبحث عنك.. أما جيس فوجد لنفسه فتاة شقراء من قسم الطباعة في انتر اليكترو.. إنها تحدق إليه بذهول. يجب أن تريهما معاً!.

أسرعت كاترين تهبط الدرج فيما بقيت هايزل تطل على الردهة من فوق الدرابزين تراقب المدعوين الذين كان الكبار منهم يتجمعون في حلقات في حين أن الأصغر منهم سناً ككاترين، مثلاً كانوا ينطلقون ليمتعوا أنفسهم. أما الخالة دانيس فوقفت جانباً تراقبهم بسعادة.

ما إن وقع نظرها على جاك حتى أسرع الأخير يرفع يده محيياً مبتسماً.. فبدأت تنزل الدرج لكنها تسمرت على الدرجة الثالثة.. فقد سمعت لغطاً على المدخل أعقبه صمت حبس فيه الجميع أنفاسهم.

وقف غاريت ماكيرتشي على عتبة الباب، وامرأة جميلة سوداء الشعر إلى جانبه تدس ذراعها في ذراعه وملامحها وحركاتها تصيح بالجميع: هذا الرجل لي!.

شاهد غاريت الفتاة الواقفة في الدرج، ولكن عينيه لم تحملا دفئاً أو سعادة برؤيتها.

رفع روبن يده بعفوية غير رسمية:

ـ مرحبا غاريت.

ولكن غاريت ظل يحدق إلى هايزل وإذا بما حدث في اللقاء الأول يعود بحنان إلى عينيها ولكن هذا الرجل لا يشبه ذاك الرجل الذي دنا منها وكأنه منوّم مغناطيسي حاملاً لها الحذاء كما حمله أمير الأحلام لساندريلا، إنه رجل غريب يبدو وكأنه على وشك أن يطردها من منزله.

تابعت ببطء وبكل وقار نزول الدرج متوجهة إلى جاك.. فبدت وكأنها امرأة تذهب لتقف إلى جانب حبيبها.. ولكنها في الواقع أحست أنها ليست سوى طفلة تركض سعياً للحماية إلى جانب والدها. أشاح غاريت نظره عنها باستخفاف، ثم رافق مارجي إلى غرفة خاصة.

وعندئذٍ عادت الأصوات والضجيج إلى ما كانا عليهما في بداية الحفلة.

ـ هايزل.. مرحبا!.

ـ ساندرا.. بدأت أتساءل ما إذا كنت ستأتين.

زواج ساندرا ناجح.. فلماذا لم ينجح زواجي؟ لكن هناك فرقاً شاسعاً بين زوجها وزوجي!.

ـ كان لدى ويلي اجتماع هام هذا الصباح.

ـ يوم السبت؟.

ضحكت ساندرا:

ـ هذا يثبت أنه وزملاءه يعملون بكد، حتى خارج دوام العمل! مرحباً جاك. تبدو أنيقاً.. ألديك صديقة تعنى بك؟.

انتقلت عيناها من هايزل إليه وبالعكس، فقال:

ـ لا يا ساندرا. ظننت أن من الأفضل أن أظهر بمظهر أنيق وأنا في منزل مخدومي السابق.

ضحكت ساندرا:

ـ سيبدأ الرقص عما قريب.. وفي العادة يبدأه غاريت بعدما يختار شريكته.. أراك فيما بعد هايزل، سنعقد اجتماعاً للزوجات الشابات، ما رأيك؟.

استدارت ملوحة وابتعدت.

علق جاك قائلاً:

ـ يبدو فعلاً أن لغاريت جانباً طيباً.. تلقيت اليوم شيكاً في البريد.. ولهذا جئت. فالرسالة تذكر أنه تعويض، ولا أعرف إن كنت أستحق تعويضاً ولكن حتى لو كنت استحقه، ما ظننته سيدفع لي.

ـ هل المبلغ.. كبير جاك؟

ذكر لها المبلغ، فشهقت.. لقد تحدّثت عنه خالته قائلة إنه محب للخير.. فهل هذا صحيح يا ترى؟.

أدارت هايزل رأسها وكأن أحد شدها بخيط خفيّ.. ففي الغرفة كان رأس الشركة ينظر إليهما، فأبعدت يدها عن ذراع جاك تحس بالذنب لعمل دافعه العطف فقط.

بدا لها وكأن غاريت على وشك الاقتراب منها ثم تناهى إلى مسمعيها نغمات الموسيقى الهادئة الرقيقة... رفع غاريت لها يده في دعوة صريحة للرقص. في اللحظة ذاتها خرجت مارجي من الغرفة الخاصة، لا شائبة في شعرها أو في ثوبها الذهبي الملتف حول جسدها من الكتفين حتى الكاحلين وكانت

تخطف الأنفاس بجمالها..

انضمت مارجي إلى الذراع المرفوعة، وتلاصقت مع غاريت، تلحق به إلى حيث يذهب.. ألا تبدو وكأنها تقوم بأفضل أدوارها؟

اذن مارجي هي شريكة رقصه المختارة.. ولكن هل شكت يوماً في هذا؟.

ابتعد عنها جاك ليحضر المزيد من الشراب فلوّح من بعيد وابتسمت لها كاترين. كان قربها جيس الذي كان ينظر إلى شريكته الشقراء الجديدة بشغف.

ـ هايزل!

دفعها صوت عميق أجش للالتفات إلى جبلي جليد توأمين، هما عينا زوجها. حدجها بنظراته من رأسها إلى أخمص قدميها فعلمت أنه يتحقق من الثوب.

ـ تبدين على ما يرام.

ـ شكراً لك.

شعرت وكأنه يستخدم قوة داخلية خفية ليجذبها إليه.. فقاومت بكل ذرة من ارادتها هذا الإحساس، وسألته ببرود:

ـ تمتعت برحلتك إلى أميركا؟.

ـ لم تكن أكثر من رحلة عمل لذا لم أجدها ممتعة بشكل خاص.

ـ وماذا عن مارجي، ألم تكن معك؟.

ـ أجل.. من وجهة النظر هذه أستطيع القول إن كل شيء سار على ما يرام.

تصورت مارجي بين ذراعيه فاشتعلت غيرة. ابتسم غاريت وكأنه شعر بغيرتها ولكنها لم تكن ابتسامة رقيقة أو مرضية، بل ساخرة معذبة، عصرت قلبها.

في اللحظة التي وصلت فيها مارجي تدس ذراعها حول خصره، وصل جاك الذي وضع يده على كتف هايزل. وقال بأدب كبير:

ـ مساء الخير سيد ماكيرتشي.

هز غاريت رأسه.

ـ أهلاً بك نيومن.

أظهر جاك الاهتمام الكبير بتقديم كوب العصير إلى هايزل:

ـ إنه النوع الذي يعجبك هايزل. أظنني بتّ أعرف ذوقك.

راحت تنتقل عينا غاريت من أحدهما إلى الآخر فشعرت هايزل أن وجهها يؤلمها وكأنه صفعها...

ماءت مارجي كالقطة:

ـ حبيبي.. ألا تعرف ذوقي في كل شيء الآن؟. أريد الرقص حبيبي..

صُدمت هايزل صدمة فظيعة عندما لاحظت أن مارجي تضع في اصبعها خاتم خطوبة...

وضع جاك كأسه من يده، وأخذ كأس هايزل: «فلنرقص هايزل».

لم تقاومه لأن دماغها كان يتساءل مراراً وتكراراً: كيف يمكنه فعل هذا... كيف؟ كيف يخطبها وهو ما يزال زوجي؟.

سألت جاك عما يدفعه إلى إظهار شغفه بها فأجاب:

ـ أتسألين، وتلك الفاسقة المثيرة تتعلق بزوجك والرغبة في عينيها؟ أعرف تماماً ما هو شعورك.. فزواجي محطم، أنسيت هذا؟.

هل تحطم زواجي؟ سألت نفسها بمرارة، لترد بيأس: هذا ما تعلمينه خير معرفة. بل وكيف تشكين في هذا وهي الآن خطيبته وإن شكلياً؟. تقبلي واقع تحطم زواجك.. واتركيه خلف ظهرك.

لكن.. ليتني أستطيع ليتني أستطيع التوقف عن حب الرجل.. بل يجب أن أتوقف.. لأن تلك المرأة أصبحت زوجة المستقبل!

* * *

فراشة المحبة

١٠ ـ جنة الأحلام

ـ هايزل.

دفعتها همسة مرتفعة من ساندرا إلى ترك جاك الذي كان يتحدث إلى صديق قديم.. قالت ساندرا:

ـ أتذكرين اجتماع الزوجات الشابات؟.

اقتادتها إلى زاوية بعيدة لم يكن فيها سواهما وهناك عقدت ساندرا الاجتماع.

ـ أردت أن أطلعك طوال الأمسية على خبر جديد.. لقد تأكدت منه الآن.. نحن نتوقع مولداً.. بعد سبعة أشهر.

حضنتها هايزل سعيدة بصديقتها وحاولت تفكيك تعقيدات قلبها، وإظهار ابتسامة صافية.

ـ أخبار رائعة. ما أشدّ سروري! ماذا تفضلين؟

ـ قد أنجب توأماً أو ثلاثة وهم جميعاً على الرحب والسعة! كان يجب أن أقول لك.. أراك فيما بعد.

صمت الجميع فجأة وتوقف الرقص فبان من الواضح أن هناك أمراً سيعلن.. وقف غاريت عاقد اليدين نازعاً سترته وابتسامة خفيفة تطل من عينين ثاقبتين...

هل سيعلن عن ارتباطه مستقبلاً بمارجي؟.

تقدم روبن من شقيقته. ونظر إلى غاريت ثم كلّم الجميع.

ـ طلب مني رب عملنا الوقوف هنا لأخبركم خبراً قد يؤثر في الكثير من الموجودين هنا.. ولكن أثر موجاته ستصل في النهاية إلى أساس بنية شركة «أنتر اليكترو».

سرى التهامس بين الحاضرين، ولكن روبن أردف:

ـ انتهى أمر بعضنا، إنما بعدما حصل على تعويض سخي. أما جيس، وخطيبتي كاترين، وشقيقتي هناك، اضافة إلى بعض الأشخاص غير الموجودين هنا، فلن يكونوا ابتداء من الشهر القادم دون عمل.

راحت قبضة التوتر تسترخي عن أعصاب هايزل.. وطفق قلبها يدق بسرعة...

ـ مجلس إدارة أنتر اليكترو قرر إنشاء فرع جديد.. في الواقع شركة جديدة.

ساد صمت رهيب وهو يراجع أوراقاً سجل فيها ملاحظاته.

ـ ستكون مخصصة فقط للأبحاث وهي متصلة فقط بساينتفيك برودكتس، بل بالشركة الأم انتر اليكترو بشكل عام.

بدأت ضربات قلب هايزل تتصاعد فنظرت إلى غاريت تحاول الإشارة إليه «شكراً» فرفع حاجبه وكأنه يرد: تجرأي على نعتي باللاإنساني اللامبالي.

ـ ولقد أطلق على الشركة اسم: المستقبل المحدودة.. في الواقع يجب أن تكون التسمية المستقبل دون حدود... أليس كذلك!.

تعالت قهقهات الحاضرين فنظر روبن إلى من حوله «شكراً

لاصغائكم» ثم انضم إلى أصدقائه.

صاح جيس بانتصار وسعى إلى هايزل يرفع قبضتيه بالتحية، ثم أطبق على شقرائه الجديدة يجرها إلى الرقص. أما هايزل فاندفعت إلى أصدقائها فالتقت بالخالة دانيس التي علقت بسعادة.

ـ ألم أقل لك عزيزتي.. غاريت محب حقيقي للخير!. هل صدقتني الآن؟.

عانق روبن شقيقته متمتماً:

ـ شكراً لك هايزل.. أعرف أنك ستقولين إن لا شأن لك بهذا.. لكن..

ـ لا تشكرني روبن، فصاحب الشركة لا يؤمن بمحاباة الأقرباء. مع ذلك حاولت..

قاطعها مداعباً:

ـ اذن موهبة موظفي قسم الأبحاث هي ما دفعته إلى هذا القرار.

ـ متى أخبرك؟.

ـ منذ عشرة أيام. قابل وفداً منا حيث تبادلنا الآراء.

ـ عشرة أيام.. ولكنه كان في أميركا.

ـ عاد بضعة أيام للتباحث في ما يقترحه.

ـ إذن كنت على علم ومع ذلك لم تخبرني.

ـ إنها الثقة يا عزيزتي.

عادت الموسيقى صاخبة مبتهجة وكأنها تعكس سعادة الجميع.. ووقفت هايزل وحيدة تشنّف أذنيها، كان الراقصون

يدورون حولها وأمام ناظريها وكأنهم أجساد دائرة. يجب أن تبتعد.. أن تهرب..

لكن الموسيقى لحقت بخطواتها المبتعدة.. ووجدت نفسها في الردهة حيث كان الناس هناك أيضاً يأكلون ويشربون فاتجهت إلى المطبخ وهناك صاحت بها غويا.

ـ سيدة ماكيرتشي! ما بك؟.

هزت هايزل رأسها متجهة إلى الباب فتبعها صوت غويا المرتفع بحدّة.

ـ أتهربين مجدداً؟ فليمتني الله في الحال إن تركتك...

ولكن هايزل كانت قد أصبحت في الخارج تعدو في الحديقة الخضراء، إلى حيث الأشجار التي تحدها.. ولكنها لم تصل.. فالإنارة لم تكن تتعدى مساكب الزهور والشجيرات الشائكة... فتبعت صفين من الأنوار الملونة المتدلية على جانبي ممر يفضي إلى بركة السباحة.

وقفت على حافة البركة تحدق بعينين متسعتين إلى الأنوار المنبعثة من تحت المياه وإلى الخيالات المنعكسة على سطح الماء التي منها خيالها ولكن هذا ما ستشعر به فعلاً بعد افتراقها عن غاريت.

تمنت في هذه اللحظة لو كانت مثل ساندرا تحمل طفلاً ممن تحب.. وتمنت لو تستطيع أن تخبر العالم أجمع بهذا الخبر السعيد كما تمنت أن تخبر غاريت بالأمر...

شاهدت غرفة صغيرة قرب البركة، فأسرعت تحاول فتحها، ولكن يداً أمسكت ذراعها الممدودة. فصرخت مذعورة.

ـ تعالي إلى هنا؟.

أدارها رجل إليه ثم ضمها إلى صدره، فصاحت تقاوم.

ـ لا.. لن أفعل!.

ـ أنت هنا وستبقين هنا.

كان الإحساس بالجسد القوي النحيل، وبرائحة الرجولة فيه مألوفتين لديها فدار رأسها بسرعة وأغمضت عينيها وكلمات ساندرا تدوي في أذنها: أتوقع طفلاً! طفلاً... طفلاً...

هزت كيانها تنهيدة طويلة مؤلمة سمعت على أثرها لسانها يهمس:

ـ أريد طفلك..

ثم كررت: طفلك.

وانهمرت الدموع من عينيها:

ـ أعطني هذا الطفل أرجوك قبل أن تتركني وتهجرني من أجل مارجي.

تسمّر في مكانه كتمثال من صخر...

ـ لن أزعجك بعد هذا غاريت صدقني ستكون حراً بعدئذٍ لتذهب حيث تشاء. وعندها لن أهتم أبداً ولو اصطحبتها معك.

عاد يتنفس ولكن أنفاسه لم تبعث الراحة إلى نفسها والدفء لأن لا لمسة حنان بدرت عنه.

ـ لا أطلب منك إلا أن تسمح لي بالعيش في غرفة من منزلك.. حتى يولد الطفل.

رد بغيظ وحنق:

ـ خططت لكل شيء.. أليس كذلك؟ فهل ستقولين لي إنك

ستتخذين الطفل لنفسك فقط ثم تخرجين من حياتي لئلا أراه ثانية.. إن هذا ما تفعله النساء بالرجل في هذه الأيام. وإن حققت مرادك أعجز معه عن رؤية طفلي أو الوصول إليه وعندها لن يكون هناك صلة حب أو حقوق أبوية.. اذن.. لن أعطيك طفلاً.. أتفهمين؟.

ـ لا.. لا أفهم ليس وأنا زوجتك.

ـ ألك الجرأة على الادّعاء أنك زوجتي؟ وهناك رجل في مكان قريب من هنا راغب فيك. ولن يتركك وحيدة.

ـ كيف تطلق مثل هذه الاتهامات على علاقتي بجاك وأنت تصطحب مارجي حيثما حللت؟ إياك أن تنكر تعلقها بك؟ ليس بعدما مولت لها شركة أفلام أو بعدما عدتما من أميركا.

ـ سبق أن قلت لك إنها كانت رحلة عمل، الهدف منها هو اطلاق العمل في الفيلم الذي ستنتجه الشركة التي أدعمها لأسباب عملية.. إنها مغامرة مادية بحتة.. لا عواطف فيها... أتفهمين هذا؟.

هزت رأسها نفياً، فتمتم وعيناه تمعنان النظر فيها ثم تقدّم منها، فودت لو تضمه وتضع وجهها على صدره، لتصغي إلى دقات قلبه ولتشمّ رائحته.

ـ تعالي إليّ هايزل.

تراجعت:

ـ لماذا؟.. ماذا ستفعل؟.

ـ أرضي رغبة السيدة. عدلت عن رأيي. لقد طلبت مني شيئاً، وهو مطلب خاص جداً.. فلا يُطلب من الرجل كل يوم

أن يكون أباً لطفل.

لحق بها وهي ترتدّ إلى الوراء خطوة خطوة.. ثم أقفل الباب فهمست:

ـ لا.. لا غاريت.. لقد غيرت رأيي كذلك... لابأس الآن.. لا يهم.. من الممكن أن نتعايش دون عاطفة كما اتفقنا في شهر العسل. ولكن من الخطأ أن نفكر في انجاب طفل وأحدنا لا يضمر الحب للآخر. أنت تحب مارجي.. وهي من ستحمل طفلك.

أمسك بها:

ـ أتظنين أنني سأتركك الآن.. أتركك لتذهبي إلى نيومن، طالبة منه الطفل الذي تريدين؟ سيكون طفلي أنا أتفهمين؟ لا طفل أحد سواي.

ـ لا.. لا يا غاريت! إن أردت طفلاً يجب أن أكون مقتنعة بالحب. أتسمعني؟.

ـ كنت أحلم بهذه اللحظات، أحلم بك، بصاحبة الجمال الذي لا يقاوم.. بالمرأة التي تتوسل إلي.. راجية أن أعطيها طفلاً... طفلاً مني.. لا من رجل آخر.

تراجع رأسها وتسارعت أنفاسها فاندفع جسدها ليلتصق بجسده، وارتفعت يدها إلى مؤخرة رأسه في حركة محمومة...

لماذا؟ سألت نفسها: أتركه يفعل بي هذا وأنا أعرف أنه لا يشعر تجاهي حتى بالرقة.. لأنني أريد طفله، هذا هو السبب لأنني كنت تعيسة لعدم حدوث الحمل سابقاً. أريد فرصة ثانية لأحمل بطفله!

تسللت ابتسامة إلى وجهه حينما كانت عيناه مغمضتين.. كانت هادئة، ساكنة، فاجتاحتها موجة حنين غريبة جميلة جعلتها تتوسد صدره، وترقد راضية، تترك العاصفة تخمد ببطء.

مضى وقت طويل قبل أن يتحرك، لكن حين تحرك لم يكن ليتركها. قال لها بنعومة:

ـ أريدك قريبة مني.. لا أريد أن يفصل بيني وبين أم طفلي نفس واحد.

كان يحتويها بعناق عاصف جعل جسدها كله يكاد ينطوي بين ذراعيه.

ـ إذا تركتني، فسيقتلني رحيلك.

إنها تتذكر هذه الكلمات بوضوح. لقد تمتم بها في لقائهما الأول.. يومذاك اعتقدته يشير بكلماته إلى امرأة أخرى في حياته.. أما الآن فهي متأكدة أنه يقصدها وهو يقولها لها، لها فقط.

* * *

تحركت هايزل، بين ذراعي غاريت.. ولكنها.. كانت تحلم دون شك، فلا ذراعان هناك ولا غاريت موجود. أصغت إلى السكون حولها فخافت.. هل ندم على ما جرى بينهما فهرب.

فتحت عينيها وجلست، فلاحظت أنه على الأقل اهتم بها وغطاها بسترته... بدت الغرفة التي هي فيها وكأنها الملاذ الذي يلوذ إليه غاريت حين يريد الاختلاء بنفسه.

وقفت ثم دنت من النافذة فشاهدت جسداً يرتدي قميصاً أبيض يقف قرب البركة يداه في جيبي سرواله، يحدق إلى الماء.

ضربت الزجاج بأصابعها، فاستدار رأس غاريت. عندئذٍ لوحت له وهي تظنه سيسرع إليها، لكنه هز رأسه دون أن يتحرك. فنظرت حولها خائبة الأمل، فشاهدت باباً نصف مفتوح يفضي إلى مربع خاص للدوش فخطت إليه بسرور..

ارتدت ثيابها بسرعة، ونظرت إلى المرآة فإذا ماكياجها قد أتلف.. ولكن ما من ماء أو صابون في العالم قد يلغي اللون الأحمر البراق عن وجهها أو البهجة المتراقصة عن عينيها.. إن السعادة لأفضل ماكياج في العالم!.

أسرعت إلى الخارج:

ـ غاريت؟

رد عليها دون مقدمات:

ـ ما هي خطتك الآن؟ العودة إلى جاك وانتظار نتيجة اتصالنا؟.

لا يمكن أن يكون ما تسمعه صحيحاً بل لا يعقل أن يستمر في التفكير على هذا النحو وقد جرى بينهما ما جرى.

تراجعت إلى الوراء:

ـ أنت تتكلم وكأنك.. كأنك كنت.. مجرد...

ـ جواد استيلاد؟ أليس هذا كل ما كنت تريدينه؟ قلت: طفل مني! لكنَّ تسليم الطلبات في هذه الأمور ليس مضموناً.

عصر البؤس قلبها واجتاح الألم جسدها.. لم يتغير شيء

بينهما.. ولكن ماذا كانت تتوقع.. استعادة جنتها المفقودة؟.

ردت ببرود:

ـ ليس لدي خطط بالنسبة لجاك.. أستطيع فقط أن أكرر أن كل ما كنت أفعله عندما أكون بصحبته هو تقديم الدعم المعنوي والنفسي صدقتني أم لم تصدقني.. فهذه هي الحقيقة!.

ـ لماذا لا تصدقين مع نفسك معترفة بعلاقتك! حين سألتك ما إذا كان ادعاؤه صحيحاً لم تنكري.

ـ لم يكن بيننا علاقة! عانقني مرة بدافع العطف فقط...

ـ ألا يعني هذا شيئاً؟.

ـ بالطبع لا يعني شيئاً. ماذا عنك وعن مارجي! كنت أراقبها وهي تلف شباكها حولك.. ولم ألاحظ أنك تبعدها عنك!.

ـ إنها ممثلة وتمارس التمثيل في أية مناسبة.

ـ آسفة.. إلا أنني لا أصدق قولك.. فقد قلت لي شيئاً ليلة حفل الشواء لن أستطيع نسيانه، قلت إن مارجي موجودة، وستظل موجودة.

ـ حسناً؟ كان هذا صحيحاً.. وما يزال. إنها موجودة.. وستبقى. إنها تعيش وتتنفس.

ـ أهذا ما كنت تعنيه.. حقاً؟.

ـ حقاً.

كان قوله هذا كوميض في سماء مكفهرة سوداء. لكن هايزل لم تجرؤ على الاعتراف بوجود هذا الوميض لأنها تخشى إن مدت يدها إليه أن تجده يتوارى وقالت بحزن:

www.liilas.com

ـ ولكنكما مخطوبان.

ـ هذا خبر جديد.

ـ رأيت الخاتم في يدها.

ـ بالطبع.. وهذا يخبر العالم أنها امرأة مخطوبة.

ـ لمن.. لمن اذن؟.

راح قلبها رويداً رويداً يرتفع من الأعماق المظلمة التي هبط إليها. هل يلمع القمر فعلاً أكثر مما كان قبل قليل؟.

ـ أتذكرين تلك الصور التي كنت أنظر إليها في الليلة التي زرتني فيها.

ـ البيضاء والسوداء؟.

ـ إنها صور للدعاية التقطها الرجل الذي قررت مارجي أنها تحبه، أكثر من أي رجل في العالم. إنه خطيبها.

سمعت نفسها تؤنبه حين رمى حصاة في البركة:

ـ اوه غاريت، يجب ألا ترمي الحصى في البركة.. ما من مالك لبركة كهذه يمتلك عقلاً..

استدار يمسك بخصرها:

ـ ومن قال إنني أملك عقلاً راجحاً؟ أتتوقعين حقاً أن أنحني جانباً تاركاً المرأة التي أحب تعود إلى حبيبها الذي ينتظرها!.

ـ غاريت.. غاريت... اوه.. لقد قلت...

ـ قلت.. إن من المؤسف أن أفسد لك هذا الفستان.

ثم قهقه عالياً وهما يهويان معاً إلى الماء حيث غاصا إلى الأسفل.

حين ارتفعا كان غاريت ما يزال ممسكاً بها وعيناه تلمعان

كالنجوم البارقة فوقهما.

شهقت هايزل: «غاريت أسمعت حقاً ما قلته؟».

ـ أنني أحب المرأة التي بين ذراعي الآن؟ أليست هذه هي الحقيقة التي تودين سماعها... أحبك.. ساندريلا. بل لقد أحببتك منذ أن وقعت عيناي عليك وأنت تتحدين الرجال ليكون أحدهم أمير أحلامك.

ـ غاريت...

ـ اصمتي.. فهذا الحديث يجب أن نتمه على أرض جافة.

شدّها إلى درج البركة، ثم ارتقى الدرجات وشدها إلى فوق ضاماً إياها بين ذراعيه وهما يتقطران ماء.

ـ لكن حبيبي.. غاريت.

كانا الآن يجلسان معاً يجففان نفسيهما ويرتديان روب الحمام.

قالت هايزل: «عندما طلبت يدي في حفلة زفاف ساندرا، لم اعتقد أنك تعني ما تقول. كنت تقول تلك الكلمات وكأنك تود بعث الطمأنينة إلى نفسي.. ظننت أنني امرأة رغبت فيها، قد تفوق الأخريات منزلة عندك».

ـ ما من رجل يتقدم بطلب زواج من امرأة رغب فيها فقط. خاصة وهي تملك كل ما كان يبحث عنه في المرأة. إن كل ما فيك يا حبي جسداً وروحاً مختلف عن سواك.

غطى وجهها بقبلات رقيقة ثم قال:

ـ ألم تخبرك ساندرا أنني همست لها أنني وجدت الابرة وسط كومة القش، وحين سألتني من، قلت لها إنها ستعرف

www.liilas.com

قريباً؟.

ـ أهذا ما قلته لها علماً أننا قد تقابلنا منذ فترة وجيزة جداً؟.

ـ وعنيت كل كلمة قلتها لها.. ولك كما عنيت كل وعد قطعته لك.. حبي.

ـ حتى.. حين قلت إن ابتعادي عنك قد يقتلك؟.

ـ كنت أقصد كل حرف وكل كلمة وكل جملة ومع ذلك تركتني.

ـ أنا آسفة.. آسفة.

ودفنت رأسها في كتفه.

ـ لن أصغي بعد الآن إلى أية شائعات تدور حولك.. فمن عرفك أعطاني فكرة مختلفة جداً عن شخصيتك.

ـ وكانت الشائعات مغرضة؟.

ـ تماماً.. تذكرت الآن فأنا أشكرك على شركة الأبحاث التي أسستها.. لقد جعلت روبن وكاترين والآخرين جميعهم سعداء.

ـ تسرني غبطتك.. ولكن لم يكن في قراري ذاك دافع عاطفي بل دافعي بحت عملي.

ابتسمت:

ـ ثمة شيء آخر.. عندما تركتك.. في شهر عسلنا.. سمعتك تقول لمارجي وأنت تحدّثها عن سبب زواجك بي.. قلت لها: انني تزوجتها..

لكنها لم تستطع تذكر الكلمات الدقيقة التي قالها.. فهي لم

تسمعها قط.. بل أن مخيلتها هي التي اختلقت ما تبقى..

ـ ماذا قلت لها غاريت؟.

ـ إنني تزوجتك لأنني أحببتك.

ـ اوه غاريت. لو عرفت لما تركتك! لن أتركك ثانية.. فأنا مثلك، وجدت كل ما كنت أفتش عنه، فيك أنت..

وكان هذا صحيحاً.. رفعت رأسها إليه، والتفت ذراعاها حول قدّه القوي وهي تعلم أنه يحب كل ذرة من كيانها كما تحبه هي تماماً.. لقد وجدت جنة أحلامها أخيراً.

* * *

www.liilas.com